

رجب

الأزهر بين الماضي والحاضر

رجب، منصور على
الازهر بين الماضي والحاضر
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01023539

تجليد صالح الدقر

تلفون ٢٢٩٧٧

رجب ، منصور علي .

~~29 Dec 68~~

JAFET LIB.

- 9 APR 1980

JAFET LIB.

- 6 MAY 1980

J. Lib.

31 MAR 1985

30 JUN 1986

J. Lib.

4 APR 1985

29 APR 1985

J. Lib.

~~25 Dec 65~~

~~26 Aug 67~~

JAFET LIB.

1 OCT 1978

الأزهر

بين الماضي والحاضر

تأليف

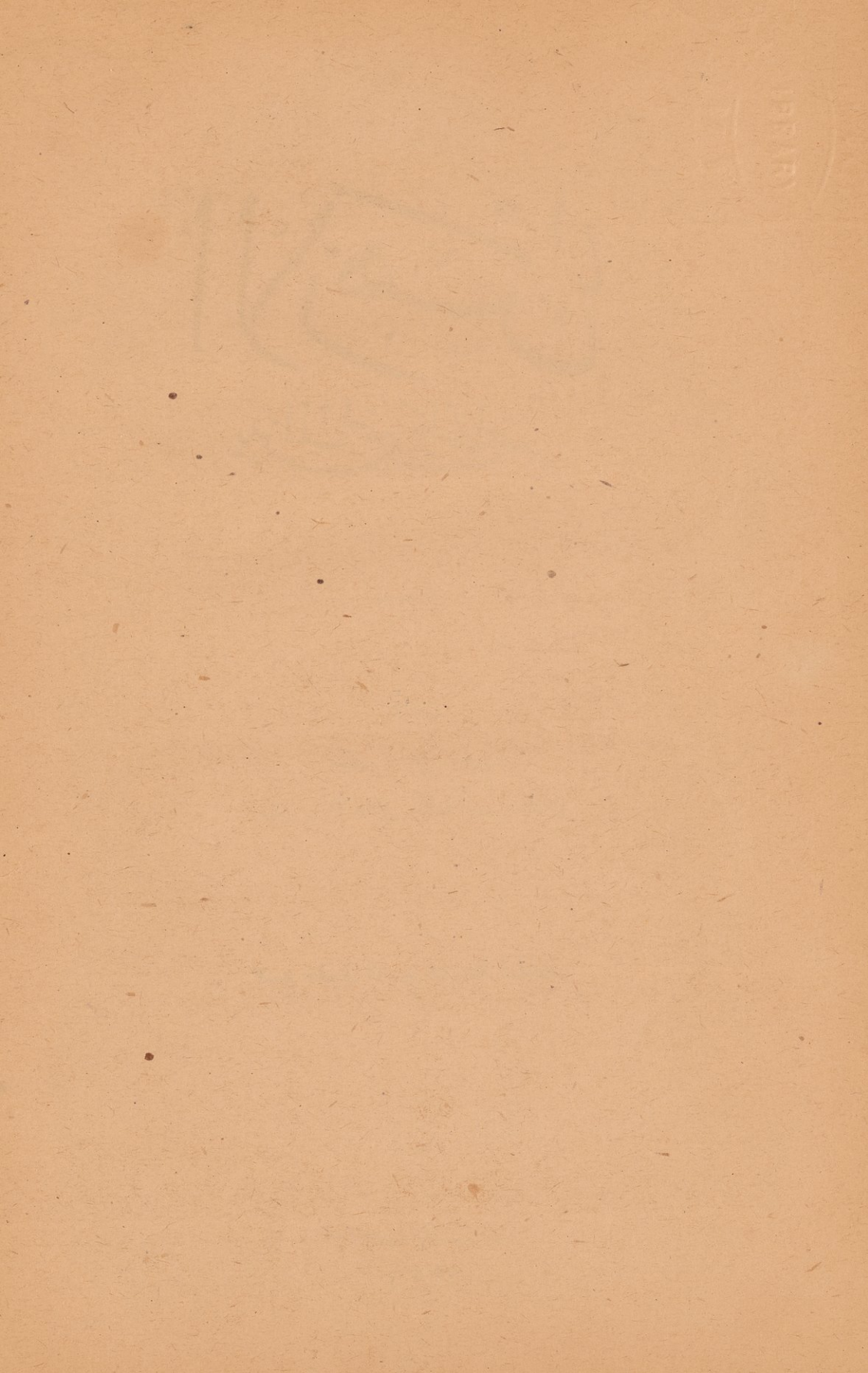
منصور علي رجب

مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

جميع حقوق الطبع محفوظة للمكتبة

طبع بمطبع المكتبة

١٩٤٦



تصديق

خير ما يقدم به كتاب عن الأزهر الشريف ، أقدم جامعة في العالم ، ومناط الدين الحنيف ، ونبع الشريعة الفياض ، قصيدة شاعرنا الأكبر المرحوم شوقي بك ، فهي أجد ما يحيا به معهد ، يطل على هذا الوجود من مائة ألف عام .

قم في فم الدنيا وجي الأزهر	وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واجعل مكان الدرر إن فصلته	في مدحه خرز السماء النسييرا
واذكره بعد المسجدين ^(١) معظما	لمساجد الله الثلاثة ^(٢) مكبرا
واخشع مليا ، واقض حق أئمة	طلعوا به زهرا وماجوا أبجرا
كانوا أجل من الملوك جلالة	وأعز سلطانا وأخف مظهرا
زمن المخاوف كان فيه جناهم	حرم الأمان وكان ظلهم ^(٣) الدورا
من كل بحر في الشريعة زاخر	ويريكه الخلق العظيم غضنقرا
لا تحذ حذو عصاة مفتونة	يحدون كل قديم شيء منكرا
ولو استطاعوا في الجامع أنكروا	من مات من آبائهم أو عمرا
من كل ماض في القديم وهدمه	وإذا تقدم للبنية قصرا
وأتى الحضارة بالصناعة رثة	والعلم زرا ^(٤) والبيان مثررا ^(٥)

يامعهد أنفي القرون جداره	وطوى الليالي ركنه والأعصر
ومشى على يابس المشارق نور	وأضاء أبيض لجهها والأحمر

(١) الحرم والاتفى (٢) الحرم والاتفى والأزهر (٣) المجأ (٤) القليل (٥) مغلط .

وَأَتَى الزَّمَانَ عَلَيْهِ يَحْمِي سَنَةً (١)
 فِي الْفَاطِمِيِّينَ انْتَمَى يَنْبُوْعُهُ
 عَيْنٌ مِنَ الْفِرْقَانِ (٢) فَاضَ نَمِيرُهَا
 مَا ضَرَّنِي أَنْ لَيْسَ أَفْقُكَ مَطْلَعِي
 لَا وَالَّذِي وَكَلَّ الْبَيَانَ إِلَيْكَ لَمْ
 لَمَّا جَرَى الْإِصْلَاحُ قَتَ مَهْنَةً
 نَبَأَ سَرَى فَكَسَا الْمَنَارَةَ حَبْرَةً
 وَمِمَّا بِأَرْوَقَةِ الْهَدَى فَأَحْلَاهَا
 وَمَشَى إِلَى الْحَلَقَاتِ فَانْفَرَجَتْ لَهُ
 حَتَّى ظَنَنَّا الشَّافِعِيَّ وَمَالِكًا
 إِنْ الَّذِي جَعَلَ الْعَتِيقَ مُنَابَةً
 الْعِلْمَ فِيهِ مَنَاهِلًا وَمَجَانِيًا
 وَيَذُودُ عَنْ نَسْكَ وَيَمْنَعُ مَشْعَرًا (٣)
 عَذَبَ الْأَصُولَ كَجَدِّهِمْ مَتَفَجَّرًا (٤)
 وَحَيًّا مِنَ الْفَصْحَى جَرَى وَتَحَدَّرًا (٥)
 وَعَلَى كَوَاكِبِهِ تَعَلَّمَتِ الشُّرَى
 أَكُ دُونَ غَايَاتِ الْبَيَانِ مَقْصَرًا
 بِاسْمِ الْحَنِيفَةِ بِالزَّيْدِ مَبْشَرًا (٦)
 وَزَهَا الْمَصْلَى وَاسْتَخَفَّ الْمُنْبَرَا (٧)
 فَرَعَ الثَّرِيَّا وَهِيَ فِي أَصْلِ الثَّرَى
 حَلَقًا كَهَالَاتِ السَّمَاءِ مَنْوَرًا
 وَأَبَا حَنِيفَةَ وَابْنَ حَنْبَلٍ حُضَّرَا
 جَعَلَ الْكِتَابِيَّ الْمُبَارَكُ كَوْثَرًا (٨)
 يَأْتِي لَهُ النَّزَاعُ يَبْغُونَ الْقَرَى (٩)

اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ابْنَ إِبْرَاهِيمَ (١) لَمْ
 بِالْأَمْسِ تَنْهَضُ مَصْرٌ فِي دَمْتُورِهَا
 مَنْزٌ عَلَى الْوَادِي السَّعِيدِ ، تَقَلَّبَتْ
 حَرَّ كَنْ فِيهِ التَّيْلُ قَبْلَ وِفَائِهِ
 الْأَزْهَرُ الْمَعْمُورُ قُلْدٌ حُرَّةٌ
 أَرْعَيْتَهُ عَيْنَ الْعَنَاءِ مَصْلَحًا
 وَعَدُّ وَعَدَتْ لَهُ ، بَوَادِرُ صَدَقَةٍ
 تَتْرَكَ لِصَنْعَاعِ الْمَآثِرِ مَفْخَرًا
 وَالْيَوْمَ تَنْهَضُ لِلْسَّمَاءِ الْأَزْهَرَا
 أَعْطَافُهُ فِي وَشِيهِ مَبْشَرًا
 فَوْفَى ، وَهَيْجَنَ الرَّبِيعِ مَبْكَرًا
 لَكَ فِي الْهَبَاتِ حَرِيَّةٌ أَنْ تُشْكِرَا
 وَأَجَلَتْ فِيهِ يَدَ الْبِنَاءِ مَعْمَرَا
 كَالْبَرْقِ لَمْ يَفْتَرَّ حَتَّى أَمْطَرَا

(١) النسك العبادة والمشعر موضع مناسك الحج (٢) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (٣) القرآن
 (٤) الحيا المطر والفصحى اللغة العربية (٥) الحنيفة الشريعة الإسلامية (٦) المنارة المثدنة والحبرة السرور
 (٧) العتيق المسجد الحرام والمثابة مجمع الزمر (٨) النزاع الفصاحد والقرى الضيافة .
 (٩) المغفور له الملك فؤاد الاول عليه رحمة الله .

وبلغت بالمعروف غاية صفوه
لم تبغ بالضعفاء عدواناً ولم
أ يكون معروف الملوك مكدرًا؟
تقذف على حرم الشريعة عسكراً

نظراً واحساناً الى عُميانه
والله ما تدري : لعل كفيفهم
لو تشتريه بنصف مُلكك لم تجد
إن فاتهم من نور وجهك فأت
لمسوا نذاك كمن يشاهد مزنة^(١)
زدهم أبا الفاروق انك خير
وكن المسيح مداوياً ومجبراً
يوماً يكون أبا العلاء المبصرأ
غنياً ، وجل المشتري والمشتري
لم يعدموا لوجوه برك منظرأ
ويدالضير وراءها عين ترى^(٢)
من خير ولد الكريم الخيبرأ

يا فتية المعمور^(٣) سار حديثكم
المعهد القدسي كان نديته
ولدت قضيتها على محرابه
وتقدمت تزجي الصفوف كأنها
نداً بأفواه الرّكاب وغنبرأ
قطباً لدائرة البلاد ومحوراً
وحبت به طفلاً وشبت معصراً^(٤)
(جاندرك)^(٥) في يدها اللوام مظفراً

هزّوا القرى من كهفها ورفيمها
الغافل الامي ينطق عنكوه
يمسي ويصبح في أوامر دينه
لو قلتمو اختر للنبيابة^(٦) جاهلاً
ذكر الرجال له فالله عصبه
أنتم لعمر الله أعصاب القرى
كالبيغاء مردداً ومكرراً
وأمر دنياه بكم مستبصرأ
أو للخطابة باقلاً^(٧) لتخييراً
منهم، وفسق آخرين، وكفراً^(٨)

(١) المزنة السحابة (٢) الازهر (٣) طفلاً أي طفلة والمعصر الفتاة المدركة والقضية هي القضية السياسية في ثورة سنة ١٩١٩ (٤) فتاة فرنسية بتول قادت الجيوش الفرنسية في حرب مع الانجليز تم أسرت وقتلت حرقاً (٥) في مجلسي البرلمان (٦) باقل عربي ضرب به المثل في الفهاة .
(٧) فسقه رماء بالفسق ، وكفروه رماء بالكفر

آبؤكم قرأوا عليه ورتّلوا بالأمس تاريخ الرجال مزوّراً

كونوا سياج العرش والتمسوا له نصرًا من الملك العزيز مؤزّراً
وتقيّوا الدستور تحت ظلاله كنفًا أهشّ من الرياض وأنصرا
لا تجعلوه هوًى وخلفاً بينكم ومجرّ دنيا للنفوس ومتجرا
اليوم صرّحت الأمور فأظهرت ما كان من خدع السياسة مضمرا

حظّ رجونا الخير من إقباله طائفة المفرّق فيه حتى أدبرا
دار النيابة هيئت درجاتها فليرق في الدرج الذوائب والذرا^(١)
الصّارخون إذا أسىء إلى الحمى والذّائدون إذا أغير على الشّرى
لا الجاهلون العاجزون ولا الألى يمشون في ذهب القيود تبخترا

لقد أرسل شوقي هذه الدّرة العصماء في سنة ١٩٢٤ عندما بدىء باصلاح الأزهر ،
وكانت الأمة قد انفتحت وحدثها ، وانقصمت عروتها ، ولا يزال نعاني ذلك الانقسام حتى
اليوم ، فظهر انقسامنا كأنه تقليد سياسي تجري عليه أحزاب هذه الأمة . فنحن اليوم من
حيث الاجماع على غايات مصر الوطنية حيث تركنا شوقي سنة ١٩٢٤ . وما أثبتنا هذه القصيدة
هنا وقدّمنا بها لهذا البحث إلاّ للذكرى ، وإن الذكرى لتنفع المؤمنين .

اسماعيل مظهر

(١) المراد بالذوائب والذرا الطبقة المنقاة من الامة

مقدّم

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . ربنا لا نزغ قلوبنا بعد
اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب .

دار حوار كثير في الأيام الأخيرة بين رجال الصحافة والقانون ثم البرلمان حول الازهر
بمناسبة تعيين شيخ له خلفاً للرحوم الاستاذ المراغي ، وشغل هذا الحوار جميع الطبقات
تقريباً . ولغت نظري أن كثيراً من الناس لا يعلمون شيئاً عن الازهر ، لدرجة أني سئلت عنه
غير مرّة أسئلة من رجال أعتقد انه لا يصح الجهل بها منهم ، ففكرت في أن أنشر صورة عن
الازهر تعطي القارىء فكرة عنه وفي الوقت نفسه أرجو أن تكون باعثاً على العناية بأمر
الازهر أقدم جامعة على ظهر الارض ومن أعظم مفاخر مصر في تاريخها الاسلامي .

ومن حسن الحظ أن أعطيت دفعة سفينة الازهر الى رجل مصلح بطبعه جامعي بفطرته
خبر النظام الجامعي في أوروبا وفي غيرها ومتقف في الناحيتين الشرقية والغربية فهو قدير على
السير به مع قافلة الزمن بما يناسب روح العصر ويتمشى مع ما ورثنا من عرف صحيح ، ذلك
هو فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق . وفضيلته علم من أعلام الفكر ومؤمن
من كبار المؤمنين المخلصين للأزهر الغيورين عليه المهتمين بشئونه فأملنا كبير فيه .

ولقد رجعت لهذا البحث الى : —

١ — كتاب دطأم الاسلام للقاضي أبي حنيفة النعمان — غير أبي حنيفة النعمان صاحب
المذهب بل ذلك رجل كان مالكي المذهب ثم اعتنق مذهب الروافض وأصبح من كبار
المؤلفين فيه — وهو مخطوط بالمكتبة الملكية تحت رقم ١٩٦٦٥ ب

- ٢ — شرح الاخبار لأبي حنيفة أيضاً وهو كسابقه تحت رقم ٧٠٦٢
 - ٣ — مجموعة للسيوطي يقال انها بخط يده وهي بالمكتبة الازهرية تحت رقم ٢٠٤
 - ٤ — البحر المحيط للزركشي وهو مخطوط أيضاً بمكتبة فضيلة الاستاذ عميد كلية أصول الدين الشيخ عيسى منون
 - ٥ — خطط المقرئ « طبع مطبعة النيل »
 - ٦ — حسن المحاضرة للسيوطي « مطبعة الموسوعات »
 - ٧ — شذرات الذهب لابن العماد « نشر مكتبة القدسي »
 - ٨ — الضوء اللامع للسخاوي « نشر مكتبة القدسي »
 - ٩ — خلاصة الأثر للمحيي « نشر محمد باشا عارف »
 - ١٠ — طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي طبع المطبعة الحسينية .
 - ١١ — معجم المطبوعات العربية والمعرية لآليان يوسف سركيس بمكتبة مجمع فؤاد الأول للغة العربية تحت رقم ١٥٨٦
 - ١٢ — الملل والنحل للشهرستاني على هامش الفصل لابن حزم « المطبعة الادبية »
 - ١٣ — تهذيب الامماء واللغات للنووي « المطبعة المنيرية »
 - ١٤ — مقدمة المجموع للنووي أيضاً « المطبعة المنيرية »
 - ١٥ — مقدمة عمدة القاري للعيني « المطبعة المنيرية »
 - ١٦ — المنتخبات لمعالي احمد لطفي السيد باشا
 - ١٧ — تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده للسيد محمد رشيد رضا
 - ١٨ — الخطط التوفيقية لعلي باشا مبارك « المطبعة الاميرية »
 - ١٩ — شرح ديوان ابن الفارض « المطبعة الازهرية »
 - ٢٠ — عجائب الآثار للجبرتي « المطبعة الازهرية »
 - ٢١ — دائرة المعارف الاسلامية
 - ٣٢ — فوات الوفيات لابن شاكر
- وقد سلكت في هذا البحث أولاً كلمة موجزة عن تاريخ الازهر المادي ولم أشأ أن

أُستمر في هذه الناحية فقد تكلم فيها كثيرون . وقدمت لتاريخه العلمي بكلمة موجزة أيضاً عن الحركة العلمية الإسلامية بمصر قبل أن يكون الأزهر . وفي تاريخه العلمي أعطيت فكرة عن مذهب الروافض هؤلاء الذين أنشأوا الأزهر لحـدمة مذهبهم كما أعطيته فكرة عن رأيهم في تفسير القرآن الكريم . ومثلاً عن فقههم الذي ابتدأ الأزهر حياته العلمية الرسمية به ونهجت هذا المنهج لأن هذا المذهب وما يتعلق به هو الذي كان يدرّس في الأزهر في أول حياته العلمية . بل لأجله أنشئ الأزهر .

بعد ذلك تكلمت عن إنتاج الأزهر في بعض رجاله ، وساقني هذا الى ذكر أشهر الكتب التي تدرّس فيه . وتكلمت عن ظاهرتين اثنتين أضرتا بسير الدراسات الإسلامية وهي ظاهرة تحريم المنطق والفلسفة ، وظاهرة النهي عن التأليف وأن هذه الأخيرة وجهت إنتاج الأزهر الى الشروح والخواشي والتقارير . وتكلمت عن مجهود الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده في اصلاح الأزهر مبيناً الخطوات التي خطاها الأزهر في سبيل هذا الاصلاح إلى أن وصل إلى هذه الحال التي نراها الآن . وذكرت رؤساء الأزهر من أول شيخ تولى أمره إلى الآن مبيناً كيف كان يدار قبل أن تنشأ وظيفة المشيخة مترجماً لبعض شيوخه تراجم مختصرة صدرتها بكلمة عن فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخه الحالي . مبيناً بعض الحوادث التي وقعت فيه بسبب المشيخة . وأخيراً أثبتت باحصاء عن طلابه وعدد المتخرجين فيه في السنة الماضية وعن ميزانيته ومكتبته . ثم أدليت برأيي في توجيه الأزهر في هذا العصر الذري .

وعند الكلام على السيوطي في انتاج الأزهر نشرت تصديره عن أول سورة الفتح بتعليق فضيلة الأستاذ الأكبر عليه . فانه يعطينا مثلاً عن البحث والدرس والاشراف العلمي في ذلك الوقت وهذا التصدير كان موضوع الدرس الذي ألقاه فضيلته أمام جلالي ملك مصر فاروق الاول ، وملك الجزيرة عبد العزيز آل سعود في الجامع الأزهر في ثاني يوم للزيارة الملكية في يناير ١٩٤٦ . كل هذا قدمته خالصاً لوجه الله والعلم ، والله ولي السداد والرشاد .

منصور علي رجب

مصر الجديدة : ربيع الثاني سنة ١٣٦٥
مارس سنة ١٩٤٦

كلمة

عن تاريخه المادي

بين حي الديلم في شمال القاهرة وحي الأتراك في الجنوب وبعد عام من فتح من يسمون أنفسهم الفاطميين مصر بنى جوهر الصقلي قائد جند المعز لدين الله الجامع الأزهر فكان أول مسجد أسس بالقاهرة وثالث مسجد بالديار المصرية . الأول جامع عمرو بالقسطاط . والثاني جامع احمد بن طولون بالقطائع . والثالث الأزهر بالقاهرة .

شرع جوهر في بنائه في جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ ، وكل في رمضان سنة ٣٦١ هـ ، وفتح للصلاة في هذا الشهر الذي كل فيه البناء .

وكتب جوهر بدائرة القبة التي في الرواق الأول كلمة تاريخها سنة ٣٦٠ هـ وهي على يمين المحراب والمنبر نصها بعد البسملة : « مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي وذلك في سنة ٣٦٠ هـ » وليس لهذه الكلمة الآن وجود .

ظل الأزهر في عناية دولة الروافض ، ولما دالت تغير الحال في عهد الأيوبيين إذ كانوا سنيين حاولوا محو كل أثر للدولة البائدة وحملوا كافة الناس على التزام مذهب أبي الحسن الأشعري .

وفي سنة ٧٠٩ هـ بنى الأمير علاء الدين طبرس الخازندار تقيب الجيوش المدرسة الطبرسية وجعلها مسجداً لله تعالى زيادة في الجامع الأزهر وجاء أقيفا عبد الواحد فبنى المدرسة الاقبغاوية سنة ٧٤٠ هـ وألحقها بالجامع الأزهر .

وفي سنة ٧٦١ هـ أحب الأمير الطواشي سعد الدين بشير الجامدار الناصري عندما سكن بحوار الأزهر أن يؤثر فيه أثراً صالحاً . فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون في عمارة الجامع فأذن له في ذلك . وكان قد استجد بالجامع عدة مقاصير . ووضعت فيه

صناديق وخزائن حتى ضيقته فأخرج الصناديق والخزائن ونزع تلك المقاصير وتبع جدرانها وسقوفه بالإصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبيض الجامع كله وبلطه ومنع الناس من المرور فيه.

وفي سنة ٨٤٤ هـ شيد الطواشي جوهر القنقباي المدرسة الجهرية بالقرب منه عند باب الصغير تجاه زاوية العميان — توفي جوهر في سنة انشائها فدفن بها — وهي مدرسة صغيرة ليس بها عمد وتشتمل على لوأمين متقابلين وبها قبلة صغيرة .

وجاء الملك الأشرف أبو النصر قايتباي — توفي سنة ٩٠١ هـ — فأنشأ به ميضأة وفسقية وسبيلاً ومكتباً على باب الجامع . والملك الظاهر أبو سعيد قانصوه جاء فرتب به الخبز في شهر رمضان . ولما جاء الملك الأشرف قانصوه الغوري — آخر المماليك (٩٠٦ — ٩٢٢ هـ) — ضاعف ذلك في أيامه أضعافاً كثيرة وبني المئذنة ذات البرجين .

وجاء عثمان كتنخدا القزدوغلي فبنى زاوية العميان في سنة ١١٤٨ هـ .

وبعد ذلك جاء عبد الرحمن كتنخدا — المتوفى سنة ١١٩٠ هـ — فكان من أكثر الناس إحساناً إلى الأزهر فهو الذي أنشأ المقصورة المعروفة الآن بين الأزهرين « بالزيدة » أو بالليون وهي أصغر من المقصورة القديمة ويفصلها عنها ليوان ممتد بطولها ارتفاعه أكثر من نصف ذراع وبني بها محراباً للصلاة وأقام بها منبراً للخطابة .

وأنشأ لهذه المقصورة باباً عظيماً تجاه حارة الباطلية ^(١) وبني بأعلاه مكتباً لتحفيظ أيتام المسلمين القرآن .

وإذا كانت الحملة الفرنسية قد أنزلت بالأزهر خسائر فادحة فإن عطف الأسرة العلوية على الأزهر يكتب لها بمداد الفخر . فالأزهر يحتفظ لهذه الأسرة وبخاصة لمنشئ الأزهر الحديث المغفور له الملك فؤاد الأول، يحتفظ له بآثار ستبقى خالدة خلود الدهر وقبل أن نرى هذا الأثر الخالد نجمل القول في تاريخ الأزهر العلمي ونظامه الداخلي في عصوره القديمة مقدمين لذلك بكلمة موجزة عن الحركة العلمية الإسلامية بمصر قبل أن يكون الأزهر.

(١) عرفت بطائفة يقال لهم الباطلية . وسبب هذه التسمية أن المعز لما قسم العطاء في الناس جاءت طائفة فسألت العطاء فقبل لها فرغ ما كان حاضراً فقالوا رحنا نحن في الباطل فسبوا الباطلية وعرفت هذه الحارة بهم والآن غير اسمها بشارع « المقرزي »

كلمة

عن الحركة العلمية الاسلامية بمصر
قبل أن يكون الازهر

ابتدأت الحركة العلمية بمصر بعد الفتح بتحفيظ القرآن الكريم وأول من أقرأ القرآن بها رجل من الصحابة شهد فتح مصر هو عبيد بن نجر المغافري ويكنى أبا أمية ^(١) وكان يفتي المساميين في أمور دينهم عبد الله بن عمرو بن العاص . وفي سنة ٣٦ هـ عرف المصريون نوعاً من الدرس لم يكن من قبل ، ذلك هو التحدث في الترغيب والترهيب والفتن ، وأول من أوجد بمصر هذا الدرس هو سليم بن عزز النجيب ^(٢) وهو أول من أوجد بمصر سجلاً في الموارث .

أخذت هذه الحركة تنمو وتزداد شيئاً فشيئاً حتى جاء يزيد بن حبيب في عهد عمر بن عبد العزيز فزاد فيها كذلك شيئاً لم يكن ، ذلك انه كان أول من نشر العلم بمصر في الحلال والحرام ^(٣) .

وإذا كان عمر ابن عبد العزيز قد جعل الفتيا بمصر الى ثلاثة رجال منهم يزيد بن حبيب هذا الذي وضع لبنة في أساس الحركة العلمية بمصر . فلقد جاء عبد الرحمن بن ميسرة مولى الملامس الحضرمي فزاد في درس القرآن الكريم بمصر شيئاً لم يكن ، ذلك انه كان أول الناس اقراء بمصر بحرف نافع . وعرفت مصر منه هذا الدرس قبل الحسين ومائة ^(٤) .

(١) خطط المقرئ ج ٤ ص ١٤٣

(٢) من الطبقة الاولى من التابعين ولاء معاوية القضاء بمصر فمكث بها قاضياً عشرين سنة وتوفي بدمياط سنة ٧٥ (حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ١٣٢ هـ)

(٣) يزيد بن حبيب هذا هو أستاذ الليث بن سعد وكان الليث يقول عنه هو سيدنا وطالبا توفي ١٢٨ هـ

(٤) توفي ابن ميسرة سنة ١٨٨ هـ وكان فقيهاً عفيفاً شريفاً .

ولقد عرفت مصر في هذه الناحية طائفة جليلة من أئمة القراءات منهم : عثمان بن سعيد الملقب بورش ولقد أخذ القراءة عن نافع وهو الذي لقبه بورش لشدة بياضه (١) .
على هذا النحو كان بمصر درس القراءات وتحفيظ القرآن الكريم بجواره درس القصص .
ودرس أحكام الشريعة وجد في هذا الدرس الأخير يزيد بن حبيب فتايمذه الليث بن سعد .
وفي أيام الليث بن سعد هذا دخل مصر بعلم مالك عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى
جميع — توفى بالاسكندرية سنة ١٦٣ هـ — فروى عنه الليث بن سعد واشتهر مذهب مالك
بمصر ولم يزل بها مشتهراً حتى قدم الى مصر محمد بن ادريس الشافعي في سنة ١٩٨ فصحبه
جماعة من أهل مصر منهم الربيع بن سلمان . والمزني والبويطي وكتبوا عنه ما ألفه ووصلوا
به فاشتهر بمصر مذهب الشافعي كما اشتهر بها مذهب مالك من قبل .

أما مذهب أبي حنيفة فلم يكن أهل مصر يعرفونه كما يعرفون مذهب مالك والشافعي في
ذلك الوقت . ويعمل المقرئ سبب وغبته عن أن اسماعيل بن اليسع الكوفي الذي تولى
القضاء بمصر بعد ابن لهيعة كان يذهب الى قول أبي حنيفة وكان مذهبه ابطال الاحباس ولم
يكن هذا المذهب معروفاً بمصر لذلك ثقل عليهم أمره وسئموه (٢)

ولهذه المناسبة نقول أن فقهاء الحنابلة لم يسمع عنهم بمصر إلا في القرن السابع وما
بعده وذلك أن الامام احمد كان في القرن الثالث ولم يبرز مذهبه خارج العراق إلا في القرن
الرابع . وفي هذا القرن ملك الروافض مصر واضطهدوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة
وأقلموا مذهبهم كما عرفنا . ويقول السيوطي « إن أول امام علمت حلوله بمصر الحافظ بن
عبد الغني المقدسي صاحب العمدة (٣) »

اتسعت الحركة العلمية الإسلامية بمصر بعد أن دخلها مذهب مالك والشافعي وبعد أن وفد
عليها من وفد وظهر فيها من العلماء من ظهر ، وإذا أردت أن تتخيلها أكثر فتخيل الشافعي

(١) أصله مصري قبطي . انتهت اليه رئاسة الاقراء بالديار المصرية في زمانه توفى سنة ١٩٧ (راجع
حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ٢٣٠)

(٢) خطط المقرئ ج ٤ ص ١٤٥ (٣) راجع حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ٨٢٢ ، والمقدسي
هذا توفى بالقاهرة سنة ٦١١ هـ .

يلقي درس الفقه بمسجد عمرو أو الربيع بن سليمان^(١) يلقي درس الحديث بجامع احمد بن طولون ،
وتخيل الشافعي وابن هشام قد اجتماعا ليتناشدا شعر العرب .

تخيلها في هؤلاء الأئمة قبل أن يكون الأزهر . تخيلها في أئمة الحديث والنحو واللغة
والشعر والأدب بجوار ما تقدم من أئمة الفقه والقراءات .

تخيل بمصر قبل أن يكون الأزهر . النسائي^(٢) من أئمة الحديث وعبد الرحمن بن عمر
ابن أبي الفهم^(٣) وسليمان بن داود بن حماد^(٤) من فقهاء المالكية والمزني^(٥) والبويطي^(٦)
من فقهاء الشافعية . والقاضي بكار بن قتيبة^(٧) وابن أبي عمران موسى بن عيسى
البغدادى^(٨) من فقهاء الحنفية وابن هشام^(٩) وابن ولاد^(١٠) من أئمة النحو واللغة وهذا
ابن الحكم^(١١) وسعيد بن يونس^(١٢) وأبو عمر الكندي^(١٣) من أئمة التاريخ وكثير
عزة^(١٤) وأبو تمام^(١٥) والمتني^(١٦) من الشعراء .

(١) صاحب الامام الشافعي وراوي كتيبه والمؤذن بجامع القسطنطين . روى عنه أصحاب السنن الاربعة
والطحاوي وأبو زرعه . توفي سنة ٢٧٠ هـ .

(٢) كان يسكن بزقاق القناديل بجوار مسجد عمرو بالقسطنطين . قال الذهبي هو أحفظ من مسلم . وقال
أبو علي النيسابوري رافقت من أئمة الحديث أربعة منهم النسائي بمصر . وقال الحاكم كان النسائي أفقه مشايخ
مصر في عصره وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعرفهم بالرجال . له من المصنفات السنن الكبرى
والصغرى وهي احدى الكتب الستة خرج من مصر سنة ٣٠٣ ومات بمكة (حسن المحاضرة للسيوطي ج ١
ص ١٦٣) (٣) روى عنه البخاري وأبو زرعه توفي سنة ٢٣٤ (٤) قرأ على ورش وروى عنه أبو داود
والنسائي توفي سنة ٢٥٣

(٥) قال عنه الشافعي لو ناظر الشيطان لغلبه وقال عنه الرافعي : المزني صاحب مذهب مستقل وله كتب
كثيرة منها المبسوط والمختصر توفي سنة ١٦٤ ودفن قريباً من الشافعي (٦) خليفة الشافعي في حلقة بعده
حسبه قاضي مصر فسعى به الى الوثائق بالله أيام الهنة بخلق الزمان حمل الى بغداد مغلولاً مقيداً فلبس بها
الى أن مات في القيد والسجن سنة ٢٣١ هـ (٧) قاضي الديار المصرية ومن روى عنه ابن خزيمة وله تصانيف
في الشروط والوثائق والرد على الشافعي فيما تقضه على أبي حنيفة توفي سنة ٢٧٠ (٨) تلميذ محمد بن ساعدة
وحدث عن عاصم بن علي وهو شيخ الطحاوي توفي سنة ٢٧٥ هـ

(٩) هذب سيرة ابن اسحق فصار تنسب اليه توفي سنة ٢١٨ هـ (١٠) مصنف كتاب الاقتصاد لسيدويه وشيخ
الديار المصرية في العربية توفي سنة ٣٣٢ هـ (١١) مصنف فتوح مصر وروى عنه النسائي وأبو حاتم (١٢) صاحب
تاريخ مصر (١٣) صنف فضائل مصر وكتاب قضاة مصر وكان في زمن كافور (١٤) أقام بمصر مدة في
كنف عبد العزيز بن مروان قال له قائل ما بال شعرك قد قصرت فيه فقال ماتت عزة فكيف أطرب ، وذهب
الشباب فلا أعجب ، ومات عبد العزيز بن مروان فلا أرغب وإنما الشعر عن هذه الحلال . (١٥) كان في
مصر يسقي الماء في مسجد عمرو توفي بالموصل سنة ٢٢٨ هـ (١٦) أقام بمصر مدة أربع سنين عند كافور
الاخشيد يمدحه . قتل سنة ٣٥٤ هـ .

هذه الحركة العلمية القويمة في ظل هؤلاء العلماء الذين كانوا في مصر مابين زائر ومقيم ، لو قدر لها أن تستمر كما كانت وقتئذٍ في اخلاص الشافعي لفقهاءه ، والنسائي لحديثه ، وابن هشام للغته ، وأبي تمام لشعره ، لو قدر لها أن تستمر على هذا النحو بمصر في كل عصورها لتغير وجه التاريخ فيها ، ليس في ذلك من شك .

ظلّ جامع عمر مهد الحركة العلمية في القسطنطينية في ذلك جامع احمد بن طولون في القطائع حتى ملك الروافض مصر فبنوا القاهرة وبنوا فيها الأزهر .



تاريخه العلمي

اتفقت كلمة المؤرخين على أن أول تاريخ علمي للأزهر يتبدى في صفر من سنة ٣٦٥ هـ في هذا التاريخ ابتداء علي بن النعمان القاضي أحد فقهاء مذهب الروافض يجلس في الأزهر ويملي مختصر أبيه في فقه المذهب ، وكانوا يسمونه فقه آل البيت . وعلى هذا يكون هذا الكتاب المسمى « بالاختصار » أول كتاب درس في الأزهر في تاريخ حياته العلمية . ولقد هداني بحبي إلى أن هذا الكتاب غير موجود بمصر . ويا حبذا لو أمر فضيلة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ مصطفى عيد الرازق بالبحث عن هذا الكتاب في مظان وجوده ليكون في مكتبة الأزهر تحفة تاريخية باعتباره أول كتاب درس فيه .

وافتح الأزهر داراً للعلم في ذلك التاريخ ، كان في آخر عهد المعز لدين الله ، أول خلفاء هذه الدولة بمصر . وفي عهد العزيز بالله بن المعز لدين الله سنة ٣٧٨ هـ . رُتب في الأزهر أول درس بعلوم جارٍ من قبل السلطان . وابتدأ الأزهر حياته العلمية بدرس الفقه بالمجان . وليس هذا غريب ، بل فوق هذا كان ينفق على طلبته ما يكفيهم ، وبنيت لهم دار بجوار الأزهر ليقطنوا فيها . وكان هذا التشجيع بالانفاق والسكنى في أيام وزارة يعقوب بن كلس الذي لم يكتفر بهذا بل كان يعطيهم هو أيضاً من ماله الخاص في كل سنة .

ابتدأ الأزهر حياته العلمية المنظمة بخمسة وثلاثين طالباً . ولم يشجع هؤلاء بما رأينا غريب ، بل كان هناك لون آخر من ألوان التشجيع . فيحدثنا المقرئ أن العزيز بالله « خلع عليهم في يوم عيد فطر وحملهم على بغلات » . ولم يكن الأزهر في ذلك العهد مقصوراً على الرجال غريب ، بل كان للمرأة فيه نصيب فكان يفردون فيه بمجلس خاص ^(١) .

وقد يكون من الحسن بهذه المناسبة أن أقول إن المرأة المسلمة بمصر وغير مصر كانت تصل الى درجة من الثقافة بحيث يجازها بالتدريس والافتاء. ومدلول الأجازات من الأساتذة في ذلك العصر كان يساوي الشهادات عندنا الآن. فمثلاً يحدّثنا ابن العماد صاحب شذرات الذهب أن ضياء الدين بن منصور السعدي المقدسي الحنبلي محدّث عصره سمع بدمشق من أبي المجد البانياني وابن الموازيني وغيرها. وبمصر سمع من البوصيري وفاطمة بنت سعد الخير.

وسمعت فاطمة بنت مؤرخ الشام ابن عساكر من ابن طبرزد وأجاز لها الصيدلاني. وكانت كريمة بنت عبد الوهاب المعروفة ببنت الحبقة راوية وأجاز لها مسعود النقي. وروت هدية بنت عبد الحميد المقدسية الصحيح عن الزبيدي. وما أريد أن استطرّد في ضرب الأمثال فأمر هذا مشهور. وإذا كان من الحسن أن استطرّدنا بهذه الكلمة عن المرأة. فقد يكون من الواجب أن نعرف شيئاً عن فقه الروافض الذي ابتدأ الأزهر حياته العلمية به. حكم أصحاب هذا المذهب مصر أكثر من قرنين اثنين من سنة ٣٥٨ هـ الى سنة ٥٦٧ هـ نشروا فيها مذهبهم بكل الوسائل. ومذهبهم هذا هو مذهب الاسماعيلية الباطنية. وظل هذا المذهب هو المذهب الرسمي لمصر يعمل به القضاء والفتيا اذا استثنينا فترة وجيزة جالس فيها للقضاء بمصر أربعة قضاة يحكم كل منهم بمذهبه ويورث على مقتضاه. أحدهم اسماعيلي، وثانيهم امامي، وثالثهم مالكي، والرابع شافعي. وكانت هذه الفترة في سنة ٥٢٥ هـ بعد أن استولى على الوزارة بطريق الثورة احمد بن الأفضل شاهنشاه ابن امير الجيوش. ولكن هذا النظام لم يدم بل عاد الى ما كان عليه لمذهب الاسماعيلية بعد أن قتل الوزير في سنة ٥٢٦ هـ. واستمرّ العمل به وأنكر ما عداه الى أن جاء صلاح الدين الأيوبي فصرف قضاة هذا المذهب وفوض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس الشافعي فلم ينب عنه في اقليم مصر الاّ من كان شافعي المذهب فتظاهر الناس بغيره واختفى مذهب الاسماعيلية من أرض مصر وكانت منهم بقية في الصعيد في زمن علي بن وهب القشيري الشهير بابن دقيق العيد - توفي بقوص ٦٦٧ هـ - فأجرى مذهب أهل السنة وأزال مذهب الروافض.

كان مذهب الروافض هذا يقوم على أسس منها نظرية الوصية وليس هذا مكان الكلام

على هذه النظرية ومن أين نبئت بل يكفي أن نقول : إن أول من دعا إليها في الاسلام هو عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء « أسلم سنة ٥٢٩ هـ . في خلافة عثمان » وأخذ يطوف بهذه النظرية البلدان الاسلامية ومنها مصر وانتهى به المطاف الى المدينة حيث قامت الثورة على عثمان .

ونظرية الوصية هذه ترمي الى أن النبي صلوات الله عليه قد وصى لعلي بالخلافة من بعده . وعلي عند سائر فرق الروافض إمام معصوم مفروضة طاعته فيجمعهم القول بامامته نصاً ووصاية ، وبأن الامامة لا تخرج عن أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية « حذر » من عنده . فليست الامامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة . ويقام الامام بتنصيبهم بل هي قضية اصولية وهي ركن من أركان الدين لا يجوز لارسل إهماله وإغفاله ولا تفويضه الى العامة وإرساله .

وعندهم أن الاسلام بني على سبع دعائم روى في كتاب « دعائم الاسلام » عن جعفر بن محمد أنه قال : بني الاسلام على سبع دعائم . الولاية وهي أفضلها وبرها وبالوالي يوصل الى معرفتها . والطهارة . والصلاة . والزكاة . والصوم . والحج . والجهاد . وكتاب دعائم الاسلام هذا الذي وردت فيه هذه الرواية هو للقاضي أبي حنيفة النعمان . وكتابه هذا من أمهات كتبهم حتى ان الظاهر جعل جائزة مالية لمن يحفظه وهذا الكتاب موجود منه الجزء الاول بالمكتبة الملكية وهو بالتصوير الشمسي مأخوذ عن نسخة خطية بمتحف ليدن .

ويستدلون على أن النبي صلوات الله عليه قد وصى لعلي بالخلافة من بعده بحديث غدير خم - غدير خم على بعد ثلاثة أميال من الجحفة بسرة الطريق - وهذا الحديث موجود في كتاب شرح الأخبار وهو أيضاً للقاضي أبي حنيفة النعمان . ورواه احمد في مسنده ونقله عنه المقرئ في عبارة تختلف عن عبارة شرح الأخبار والحديث موجود بالمسند ج ٢ ص ٣٣٢ ، ج ٣ ص ١٢٠ ، ١٤٥ ، ج ٤ ص ١٠٢

ولهذا كانوا يعتقدون أن أبا بكر وعمر قد خرجا على هذا النص . وأنقل هنا بيتين جاءا في كتاب شرح الأخبار بالصفحة ١٧٧ تحت عنوان « لله در الناظم » وكتاب شرح

الأخبار هذا هو الذي تقدم ذكره للقاضي أبي حنيفة النعمان . وقد اطلع عليه المعز لدين الله بعد أن ألف فأنبت منه ما أثبتته وأسقط منه ما أنكره . وها هي ذي الآيات :

صدّيقهم بعد النبي تزندقا وكذلك فاروق الصحابة فرقا

بين النبي وآله ووصيه والمسلمين درا بذا من حققا

وكانوا يذهبون الى تأويل آي القرآن الكريم تأويلاً يتمشى مع عقيدتهم في الإمامة .

فمثلاً يرون في قول الله تعالى « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » يرون أنهم هم الناس المحسودون على ما آتاهم الله من الإمامة دون خلق الله جميعاً .

وفي قول الله تعالى « إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » يقولون إيانا عني بهذا أن يؤدي كل إمام لمن يكون بعده الكتب والعلم والسلاح .

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » يقولون نحن الصادقون . وهذا

الرأي في تفسير هذه الآيات نقلته عن كتاب دعائم الاسلام من صفحة ١٥

والى هنا أظنني قد صوّرت الى حدّ ما بعض ما كان يدرس في الأزهر في فجر حياته العلمية وأعطيت القارئ فكرة عن المذهب من ناحية العقيدة كما أعطيته فكرة عن رأيهم في بعض تفسير آي القرآن المجيد .

بقي أن نعرف شيئاً عن درس الفقه .

خالفوا في كثير منه ما اتفقت عليه المذاهب الأخرى . فمثلاً أمروا بالألّا يرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جد ولا ابن أخ ولا ابن عم . ولا يرث مع الولد الذكر أو الأنثى إلا الزوج أو الزوجة والأبوان والجدّة ، ولا يرث مع الام إلا من يرث مع الولد (١) .

واكتفيني في هذا بالنقل عن المقرئزي ، وكان يحسن أن أنقل عن كتب القوم أنفسهم

في الفقه

وبهذا حكموا من فجر حكمهم بمصر وكانوا يعتبرون الخروج على هذه الأحكام

عداوة لفاطمة .

جاؤوا للصوم فأمروا بأن يبدأ من اليوم الذي يرى في عشيته الهلال ، وأولوا لذلك الحديث القائل : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » فقالوا معناها صوموا اليوم الذي يرى في عشيته الهلال كما يقال تهيئوا لاستقباله فيقدم التهيؤ على الاستقبال .

واضطروهم الى ذلك كله مذهبهم في أوائل الشهور فكانوا يرون أن ستة أشهر من السنة قامة وستة أشهر ناقصة وأن كل ناقص منها فهو تال لتام . فلما قصدوا استخراج الصوم والفرط على هذا الحساب خرج قبل الواجب بيوم في أغلب الأحيان فأولوا الحديث وصاموا على مذهبهم هذا الذي ينسبونه الى جعفر بن محمد الصادق وزعموا أنه سر من أسرار النبوة (١) .

هذا وقد أمر القوم بأن يؤذن لصلاة الظهر في أول الساعة السابعة ، ولصلاة العصر في أول الساعة التاسعة « بالعربي » وكانوا يمنعون صلاة الضحى وصلاة التراويح .

كان مذهب الروافض هو المذهب السائد في دولته ، وتزعم الأزهر تدريسه وما يتصل به ، يسنده في ذلك جامع عمرو ، ومجلس الفقهاء في دار الوزير يعقوب ابن كلس ، سارت هذه الحركة العلمية التي يحمل لواءها الأزهر على هذا النحو واشتدت لما أن فتحت دار الحركة في عهد الحاكم بأمر الله ثالث خلفاء هذه الدولة بمصر . وبعد أن افتتح الأزهر حياته بدرس الفقه أصبحت الدائرة تتسع لغيره من العلوم وأصبح بجوار الأزهر من يشد أزره في الحركة العلمية فأصبح الأطباء ، والمنجمون ، بجوار الفقهاء والنحاة وأهل اللغة .

وكان الأزهر بجوار ذلك محلاً لتقاليد الروافض في الموالد والمواسم . فكان بيتاً من بيوت الله ، ومدرسة للعلم . ومكاناً لهذه التقاليد . على هذه الصورة سار الأزهر مدة حكم الروافض .

(١) ج ٢ ص ٣٨٨ خطط المقرئ في فلا عن أبي الريحان البيروني في كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية .

وفي عهد الأيوبيين تغير الحال إذ كانوا سذجين خاولوا محو كل أثر للدولة البائدة ، وحملوا كافة الناس على التزام مذهب أبي الحسن الأشعري ^(١) .

فمنع صلاح الدين الأيوبي الخطبة من الجامع — بحجة امتناع إقامة خطبتين في بلد واحد كما هو مذهب الشافعي — ^(٢) وأقرها بالجامع الحاكمي لأنه أوسع . وقطع عن الأزهر كثيراً مما أوقفه عليه الحاكم ، ومكثت الخطبة معطلة من الجامع الأزهر نحو قرن من الزمان . وأخذ صلاح الدين الأيوبي في عمل شيء لم تعرفه مصر في تاريخها الإسلامي ذلك أنه شرع في بناء المدارس فبنى مدرسة للشافعية بجوار قبر الامام الشافعي من القرافة بمبها المدرسة الناصرية فكانت أول مدرسة أنشئت بالديار المصرية وكان ذلك في سنة ٥٦٦ هـ ولما مكثت وقف عليها الصاغة . وبعد أيام شرع في بناء مدرسة أخرى للهاكية بجوار جامع عمرو أيضاً بمبها المدرسة القمحية ، ووقف عليها قيسارية بمصر وضبعة بالقنوق تعرف بالخيوشية . وكانت تدر القمح على الطلاب فنسبت اليه . وبذلك عرفت مصر نوعاً جديداً من دور العلم ليست لها به عهد من قبل وعلى هذا يعتبر صلاح الدين الأيوبي أول من أحدث إنشاء المدارس بالديار المصرية .

وفي سنة ٥٧٢ هـ أنشئت مدرسة للحنفية في القاهرة اسمها السيوفية ، وهي أول مدرسة وقفت على الحنفية بديار مصر . ثم أخذت تكثر بعد ذلك المدارس حتى أن المقرئ في خطه ترجم لحس وسبعين مدرسة . وبهذه المناسبة أقول إن البلدان الإسلامية لم تنشأ فيها مدرسة إلا بعد الأربعمائة من سني الهجرة . وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في

(١) توفي سنة ٣٢٤ هـ وقيل بضع وثلاثين ومئمة . اقتدى برأي زوج أمه — محمد بن عبد الوهاب الجبائي — في الاعتزال عدة سنين حتى صار من أئمة المعتزلة ثم رجع فملك طريقاً بين النقي الذي هو مذهب الاعتزال وبين الاتبات الذي هو مذهب أهل التجسيم . صعد بجامع البصرة يوم الجمعة كرسياً ونادى بأعلى صوته من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا أعرفه بنفسي . أنا فلان بن فلان ، كنت أقول : بخلق القرآن ، وأن الله لا يرى بالابصار ، وأن أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقبل قال اليه جماعة وعولوا على رأيه منهم : أبو اسحق الاسفراييني وأبو اسحق الشيرازي . فانتشر المذهب في العراق أولاً وانتقل منه الى الشام ، ومن الشام دخل مصر على يد صلاح الدين الأيوبي .

(٢) كان صلاح الدين قد قلد وظيفة القضاء لقاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه ومنع صلاة الجمعة في الأزهر

الإسلام أهل نيسابور فبنيت بها المدرسة البيهقية . وبعد أن ذهبت هذه الدولة وجاء عهد المماليك اعتنى الملك الظاهر بيبرس بأمر الأزهر فأعاد إليه خطبة الجمعة في الثامن عشر من ربيع الأول سنة ٦٦٥ هـ وشجع العلم فيه وحذا حذوه كثير من الأمراء فزاد الأمير بيبك الخازندار مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الشافعي . ورتب فيها محققاً ، وسبعة لقراءة القرآن ، ووقف على ذلك الأوقاف الدارة .

وفي سنة ٧٦١ هـ أحبَّ الأمير الطواشي سعد الدين بشير الجامدار الناصري عند ما سكن بجوار الأزهر أن يؤثر فيه أثراً صالحاً فأنشأ فيه مما أسداه إليه درساً لفقه الحنفية يلقي في المحراب الكبير ، ووقف على هذا الدرس أوقافاً محلية .

على هذا النحو صار الأزهر في عناية المماليك ، غير أننا نلاحظ أن الجامع الحاكمي أخذ ينافس الأزهر بعد أن أصلح من زلزال سنة ٧٠٢ هـ فلقد جاء الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فأنشأ بالجامع الحاكمي دروساً أربعة لقراءة الفقه على مذاهب الأئمة الأربعة ، ودرساً لقراءة الحديث النبوي ، وجعل لكل درس مدرساً وعدة كثيرة من الطلبة ، فرتب في تدريس الشافعية قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي ، وفي تدريس الحنفية قاضي القضاة شمس الدين أحمد المروجي الحنفي ، وفي تدريس المالكية قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي ، وفي تدريس الحنابلة قاضي القضاة شرف الدين الجواني ، وفي درس الحديث الشيخ سعد الدين مسعود الحارثي ، وفي درس النحو الشيخ أمير الدين أباحيان ، وفي درس القراءات السبع الشيخ نور الدين الشافعي ، وفي التصدير لإفادة العلوم علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي ، وفي مشيخة الميعاد والمسجد عيسى بن الخشاب ، وأنشئت به مكتبة جليلة ، وجعل فيه عدة متصدين لتلقين القرآن الكريم ، وعدة قراء يتناولون قراءته ، ومعلماً يقرئ أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل . وأوقفت على ذلك الأوقاف الدارة بناحية الحيزة ، والصعيد ، والاسكندرية ^(١)

وأكبر الظن عندي أن المرسوم الملكي الذي أصدره الملك الظاهر برقوق والذي كان يقضي :

« بأن من مات من مجاوري الأزهر من غير وارث شرعي وترك موجوداً فإنه يأخذه المجاورون بالجامع » .

أكبر الظن عندي أن هذا المرسوم كان لتقوية الأزهر بعد أن طغت عليه المدارس والجامع الحاكمي . ولم يكتف الظاهر برقوق بإصدار المرسوم بل أمر بنقشه على حجر عند الباب الكبير البحري ليكون بمثابة اعلان دائم .

وهذا المرسوم ظاهرة فذة في تاريخ الأزهر فلقد جعل الطلبة أسرة واحدة وربط بينهم برباط كرباط النسب .

ونستطيع أن نعرف شيئاً عن نظامه والعلوم التي كانت تدرس فيه وبخاصة أيام المهاليك الذين أنقذوه من اضطهاد الايوبيين السنيين ؟ بما يقدمه المقرئ . فلقد قدم لنا صورة لا بأس بها نرى فيها شيئاً عن علومه ونظامه وعدد طلبته وما كان يجري فيه قال :

« وفي سنة ٨١٨ هـ ولي نظر هذا الجامع مع الأمير سودوب القاضي حاجب الحجاب فحرت في أيام نظره عدة حوادث لم يتفق مثلها وذلك أنه لم يزل في هذا الجامع منذ بني عدة من الفقراء يلزمون الإقامة فيه وبلغت عدتهم في هذه الأيام ٧٥٠ رجلاً ما بين عجم وزيانمة ومغاربة ومن أهل ريف مصر ولكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع طامراً بتلاوة القرآن ودراسته وتلقيه والاشتغال بأنواع العلوم . الفقه والتفسير والحديث والنحو وجمالس الوعظ وحلق الذكر وصار أرباب الأموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة اعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكل قليل يحمل اليهم أنواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيما في المواسم . فأمر هذا الناظر في جمادى الاولى من هذه السنة باخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الإقامة فيه واخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن .

في هذه الصورة نرى أن الأزهر كان في ذلك الوقت فوق كونه مدرسة لطلب العلم تدرس فيها العلوم المختلفة ومسجداً للعبادة ومكاناً للوعظ كان بجوار ذلك داراً للتصوف . وتروي دائرة المعارف الاسلامية عن ابن أبياس أن ابن الفارض الصوفي كان مقيماً بالأزهر . ويروي رشيد بن غالب صاحب شرح ديوان ابن الفارض أن والد عمر بن الفارض حين

امتنع أن يقبل وظيفة قاضي القضاة ونزل عن حكم القاهرة ومصر بالنيابة عن الخليفة اعتزل الناس وانقطع الى الله تعالى بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر . ولعل ابنه كان يقيم معه بعد أن كان يعود من سياحته في جبل المقطم . وعلى كل فقد كانت المدارس والمساجد تقبل طلاب التصوف مفتوحة للرياضة الروحية بجوار درس العلم . وكانت المدارس والمساجد تقبل طلاب التصوف كما كانت تقبل طلاب العلم ، وتفتح صدرها لهؤلاء كما تفتح صدرها لأولئك . فمثلاً البدر العيني صاحب عمدة القاري شرح صحيح البخاري حينما حضر الى القاهرة مع شيخه العلامة السيرامي سنة ٧٨٨ هـ جعله الظاهر برق في عداد صوفية البروقية .

وزى الأمير الكبير سيف الدين شيخو الناصري لما أنشأ مسجده جعل فيه عشرين صوفيًا وأقام الشيخ أكل الدين محمد بن محمود الرومي الحنفي شيخاً لهم . ثم لما عمر الخانقاه تجاه الجامع نقل الأكل والصوفية اليها وزاد عددهم .

ويحدثنا صاحب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: أن الشيخ أحمد بن عيسى ابن غلاب المنعوت بشهاب الدين الكلي المالكي شيخ الحنابلة النبوي بالأزهر أخذ التصوف عن الشيخ الشعرائي وجلس بالحلي الشريف بعد والده ، ووالده جلس بعد الشيخ البلقيني وهو جلس بعد الشيخ صالح ، وهو جلس بعد الشيخ نور الدين الشوقي المدفون بزاوية الشيخ عبد الوهاب الشعرائي .

بناءً على كل هذا نستطيع أن نقول إن دور العلم ومنها الأزهر في ذلك الوقت كانت تعرف لوناً من التعليم لا يتصل بقاعدة منطقية أو نكتة بلاغية ، وإنما يتصل بمسألة روحية الغرض منها تطهير النفس وتصفيتها مما علق بها من أوزار الجسد حتى صار الأزهر بعلمه ورياضته الروحية قبلة المسلمين في جميع بقاع الأرض حتى فاق المساجد والمدارس الأخرى في مصر وغير مصر ، بقي أن نتساءل :

لم تسابق أهل الخير في حبس الأموال على الأزهر والاحسان إليه وفي مصر مساجد كثيرة منها ما هو أقدم من الأزهر ، ومنها ما هو أوسع منه ؟ ولم تزعم الأزهر هذه المدارس وهذه المساجد ؟ . إن الأزهر بحكم الظروف التي أحاطت به من يوم أن أنشئ أخذ صبغة دينية لم تكن لغيره من المساجد والمدارس فلقد أوجد لمذهب ديني هو مذهب الرافضة واضطهده

- بعد ذلك رجال مذهب ديني هم الأيوبيون السنيون. ثم جاء المهاليك فرفعوا عنه ما حلَّ به من ظلم الأيوبيين فخرج من هذا الصراع العنيف بشهرة يضاف إليها أن كان محلاً لأهل الطارق الصوفية ينجون به بحال الدكر بجوار دروسه العلمية وإيوائه الفقراء والمعوزين . لكل هذا أخذ صبغة دينية قوية تقرب إليها المتقربون لمحض الخير أو السياسة . فلخبرات الأزهر ولشهرة مصر في العلوم والفنون وبخاصة بعد أن سقطت بغداد على يد التتار وهاجر إليها كثير من علماء بغداد بقي الأزهر في شهرة عالمية ومكانة خاصة في العالم الاسلامي . ونظرة عامة لمن يؤمه من مختلف البلدان تعطينا فكرة عن مقدار هذه المكانة ومبلغ الاقبال عليه، ولننظر إليهم فيما كان لهم من أروقة يقيمون فيها، في الأزهر ستة وعشرون رواقاً وهم :
- ١ - رواق الصعايدة : وهو أشهر أروقة الأزهر من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا .
 - ٢ - رواق الحرمين : مكة والمدينة : وهو رواق صغير بداخل باب المقصورة الجديدة .
 - ٣ - الدكارنة : خاص بأهل التكرور وسنار ودارفور وغيرها .
 - ٤ - الشوام : عن يمين الداخل من باب الشوام . يقال إنه من إنشاء السلطان قايتباي، ثم زاد فيه الأمير عثمان كتخدا، ثم الأمير عبد الرحمن كتخدا .
 - ٥ - الجاوة : بين رواق السلمانية ورواق الشوام وهو لاهل جاوة وغيرهم من أهل جزر الهند الشرقية .
 - ٦ - السلمانية : بين باب الشوام ورواق الجاوة وهو لأهل أفغانستان وخراسان .
 - ٧ - المغاربة : بالجانب الغربي من صحن الجامع على يمين الداخل من باب المغاربة مكتوب على بابه « أمر بتجديده مولانا وسيدنا السلطان الملك الاشرف قايتباي على يد الخواجه مصطفى بن الخواجه محمود غفر الله لها » . وهو رواق كبير هام .
 - ٨ - السنارية : عن يمين الداخل من باب المغاربة . أنشأه المغرور له محمد علي باشا .
 - ٩ - الأتراك : عن يسرة الداخل من باب المغاربة .
 - ١٠ - البرنية : لاهل برنيو وماجاورها . بين رواق الاتراك ورواق اليمنية .
 - ١١ - الجبرتية : لاهل شاطيء الصومال . في داخل رواق البرنية .
 - ١٢ - اليمن : لاهل جنوبي بلاد العرب . بجوار رواق البرنية .

١٣ — الأكراد : عن يمين الداخل من باب المزينين .

١٤ — الهنود : عن يمين الداخل من باب المزينين .

١٥ — البغدادية : بأعلى رواق الهنود وهو للبغداديين من أهل العراق .

١٦ — البحاروة : عن شمال الداخل من باب المزينين بابه الى الصحن

١٧ — الفيومية : بين رواق البحاروة ورواق الشنوانية في الزاوية الشرقية من الصحن

١٨ — الاقبغاوية : بمدرسة الاقبغاوية وله باب على رواق الفيومية .

١٩ — الشنوانية : يعرف أيضاً برواق الأجاهرة ورواق الواطية وهو بجوار رواق

الفيومية . لاهل الاجاهرة الواطية من جنوب الدلتا .

٢٠ — الحنفية : خلف رواق الفشنية والشنوانية والفيومية بين مرافق الميضأة الكبرى وبابه الى الصحن . هذا الرواق أراد عباس باشا الأول أن يبنيه لأهل بلدة الشيخ الباجوري ثم مات ولم يتمه فأكمله راتب باشا الكبير .

٢١ — الفشنية : بين باب رواق الحنفية وباب الميضأة وبابه الى الصحن .

٢٢ — ابن معمر : عن يمين الداخل الى الميضأة وهو رواق عام لجميع الأجناس .

٢٣ — البرابرة : عن شمال الداخل من باب المقصورة الشرقي وهو عبارة عن خزن ودواليب .

٢٤ — دكارنة صليح : لاهل اقليم بحيرة شاد وهو بجوار رواق الشراقوة وهو أيضاً

مجرد خزن ودواليب .

٢٥ — الشراقوة : في النهاية البحرية من المقصورة القديمة ويسكنه فقراء الشرقية

أنشأه الأمير ابراهيم بك الوالي تخليداً لذكرى الشيخ عبد الله الشراقوي .

٢٦ — الحنابلة : بجوار زاوية العميان أنشأه عثمان كتنخدا منشيء زاوية العميان (١)

وإذا كان في هذا ما يدلنا على شهرة الأزهر ومكانته في العالم الاسلامي فما يدلنا أيضاً

على قداسته في هذا العالم أن كان يطلب إلى شيوخه من السلاطين أن يقرأوا لهم صحيح

البخاري ويدعوا لهم بالنصر .

قال علي مبارك باشا في خطه وفي رجب سنة ١٢٠٢ هـ حضر إلى مينا بولاق أغا أسود

وعلى يده مقرر لعبدي باشا وخلعة لشریف مكة وصحبته ألف قرش رومي أرسلها حضرة

السلطان تفرق على طلبة العلم بالأزهر ويقرأون له صحيح البخاري ويدعون له بالنصر .

(١) خطط مصر الجديدة للي مبارك باشا ج ٤ ص ٣٠ وما بعدها ودائرة المعارف الاسلامية العدد

الاول من المجلد الثاني ص ٥٦

انتاج الأزهر

الأزهر فكرة نبتت في الأصل لخدمة مذهب معين ، ولذلك كان مع الزمن ميداناً لصراع مذهبي عنيف بين المؤيدين والمعارضين من ناحية ، وبين دولة تبديد وأخرى تنهض من ناحية أخرى . ومن حسن حظ الأزهر أن كان هذا الصراع فانه قد خدمه ووطد أركانه ورب ضارة نافعة . خدمه حتى أضحي يحمل علم الدراسات الاسلامية وما يتصل بها من قرب أو من بعد ، وبخاصة بعد أن سقطت بغداد على أيدي التتار . سار الأزهر في هذا التاريخ الطويل العريض ككل كائن حي ينهض آنأ ويتغير آنأ آخر . ولكن الذي لا ينكر والذي هو واضح وضوح الشمس في رابعة النهار أن الأزهر في هذا التاريخ الطويل قد خدم الاسلام والمسلمين في دينهم ولنفتهم خدمات جليلة ، بل لقد خدم العالم أجمع بضرب الأمثال في الاخلاص للحق ، وكانت الرياضة الروحية من خصائصه المميزة له .

[عرفت مصر في ظل الأزهر نخبة ممتازة من أعلام الفكر ، وأئمة الدين ، وكبار المصلحين . فكنت ترى فيهم الأصولي الثبت ، والفقيه الورع ، والمحدث الحافظ ، والمفسر البارع ، والأديب الظريف ، والعابد الزاهد ، والمرشد الخالص ، والكريم الجواد . بل كثيراً ما كنت ترى كل هذه الصفات مجتمعة في واحد من أولئك العلماء الاعلام الذين تفخر بهم مصر . ويفخر بهم الأزهر .

وإن الانسان ليملكه العجب حقاً ، وتأخذ الدهشة حين يرى إنتاج هؤلاء العلماء الأفاضال الذين أثروا في الأزهر وتأثروا به . خذ لذلك مثلاً : هذا تقي الدين القشيري القوسي الشهير بابن دقيق العيد « توفي سنة ٧٠٢ هـ » قاضي قضاة الشافعية ، اتفق ابن السبكي في طبقات الشافعية ، والسيوطي في حسن المحاضرة ، وابن العماد في شذرات الذهب اتفقوا على هذه الكلمة في شأنه : لم ير أحداً من أشياخنا يختلف في أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس المائة السابعة . وكان اتفيري هذا عالماً في المذهبين مذهب مالك والشافعي ،

وله فيهما تأليف . فله شرح مختصر ابن الحاجب في فقه المالكية . وله شرح على مختصر التبريزي في فقه الشافعية . وله في الحديث : كتاب الامام في أحاديث الأحكام . ولقد شرح هذا الكتاب غير أن الشرح لم يكمل . ويقول ابن العماد في كتابه شذرات الذهب إن شرح كتاب الامام هذا سماه القشيري « الامام » . أما ابن السبكي في طبقات الشافعية فيعد كتاب « الامام » كتاباً آخر غير شرح الامام . ومما يستوقف النظر أن كل المصادر التي رأيتها تتفق على ان كتاب الامام هذا في الحديث . وينفرد الزركشي في كتابه البحر المحيط بأن كتاب الامام هذا في أصول الفقه . ولقد بحثت عن هذا الكتاب فلم أعر عليه .

وله في الحديث أيضاً شرح على كتاب العمدة لعبد الغني المقدسي . ويقول السيوطي : إن أول إمام حنبلي علمت حلوله بمصر هو عبد الغني المقدسي هذا صاحب العمدة . وله شرح على العنوان في أصول الفقه .

وله في أصول الدين وعلوم الحديث كتاب « الاقتراح » ، وابن ثعلب الأدفوي صاحب كتاب الطالع السعيد يعدله أيضاً كتاب « اقتناص السوانح » ويعصفه بأنه أتى فيه بأشياء غريبة ، ومباحث عجيبة ، وفوائد كثيرة . وله ديوان خطب . وكان مع كل هذا شاعراً مفلقاً ، ونائراً مجيداً . وهو القائل :

قد جرحتنا يد أيامنا وليس غير الله من آسي
فلا ترجو الناس في حاجة ليسوا بأهل لسوى الياس
ولا تقس بالعقل أفعالهم ما مذهب القوم بمنقاس
فاهرب من الخلق الى ربهم لا خير في الخلطة بالناس

وكان ابن دقيق العيد هذا معاصراً لأبي العباس المرسي الصوفي المشهور بالاسكندرية وله معه مواقف جميلة . قال له مرة — أي لأبي العباس وكان رأساً في الصوفية — « أنتم إذا رقيتم على أحد تزدقتم ^(١) . ونحن إذا لم نرق على الناس تزدقنا »
وكان يعطف على الطلاب ويساعدهم حتى مادياً . ويقول : « ضابط ما يطلب مني أن يجوز شرعاً ثم لا أبخل »

(١) أي أتيتم بأعمال تخالف ظاهر الشرع

ومن أساتذته عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء وتلميذه القشيري هذا هو الذي لقبه بهذا اللقب . وعز الدين هذا كما كان مثلاً في العلم كان مثلاً في الشجاعة وهو أصدق مرآة نرى فيها أخلاق العلماء .

يقول ابن السبكي في طبقاته « إنه وقف في وجه القائم بأمر مصر وقتئذ لما أراد أن يفرض ضريبة على التجار قائلاً : « إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك من الحلي وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلي الحرام وضربته سكة ونقداً وفرقته ولم يبق بالكفاية لك أن تطلب القرض ، وأما قبل ذلك فلا »

ويقول عنه أيضاً أنه لما توفي عز الدين بن عبد السلام سنة ٥٦٠ هـ ومريت جنازته تحت القلعة ، وشاهد الظاهر ببيرس كثرة الخلق الذين معها قال لبعض خواصه : « اليوم استقر أمري في الملك لأن هذا الشيخ لو كان أمر الناس في بما أراد لبادروا الى امتثال أمره » . وكان عز الدين هذا خطيباً لجامع عمرو ولهذه المناسبة أقول : إن المقرئ هذا المؤرخ العظيم كان هو الآخر خطيباً لجامع الحاكم فانظر كيف انقلبت القيم .

ومن علماء مصر الأفاضل الذين أثروا في الأزهر وتأثروا به ذلك العالم البارع الطويل الباع في أصول الفقه وفروعه وفي العربية وغيرها الفقيه المالكي ابن الحاجب — كان أبوه حاجباً عند الأمير عز الدين موسك الصلاحي — صنف في الأصول المختصرة والمنتهى . وفي فقه المالكية المختصر . وله في النحو الكافية ، والوافية ، وفي التصريف الشافية وشرح الكل . وله شرح المفصل ، والامالي النحوية ، وقصيدة في العروض . ومن أساتذته في القراءات الشاطبي وتوفي بالاسكندرية « سنة ٦٤٦ هـ » وأذكر أنه مدفون بجوار أبي العباس المرسي . ومنهم إمام النحو واللغة ابن هشام الذي قال عنه ابن خلدون « ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه » . ومن أكابر أساتذة العلم المنتجين الذين عرفتهم مصر ذلك الثبت الثقة ، الصدوق النبل ، الحافظ للحديث ، الحجة فيه ، أستاذ الحديث في المؤيد ، البدر العيني صاحب عمدة القاري شرح صحيح البخاري . ويقولون إنه دأب على إلقاء الحديث فيه وحده ما يقرب من أربعين سنة خلا ما له من الدروس في بقية مدارس القاهرة ، وتناوب وظيفة حاسبة القاهرة هو والمقرئ مدة .

وولاه الملك المؤيد « نظر الأحباس » وهذه توازي وزارة الأوقاف في عصرنا . وكان معاصراً للحافظ بن حجر صاحب كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري « وكان ابن حجر هذا أصغر من العيني بأثني عشرة سنة . ويروي المقرئ أنه كان بينهما من المنافسة ما يكون بين المتعاصرين . فلما فوض إلى العيني تدريس الحديث بالمؤيدية صادف أن مالت مؤذنة الجامع المؤيدي على البرج الشمالي وكادت تسقط فهدمت وبنيت من جديد . فقال الحافظ بن حجر في ذلك .

لجامع مولانا المؤيد رونق منارته بالحسن تزهو وبالزين
تقول وقد مالت عليهم تمهلوا فليس على حسني أضرب من العيني
فتحدث الناس أنه قصد التورية بالعيني .

ويروي المقرئ أن العيني رد عليه بهذين البيتين وهما من نظمه وغيره يقول إنهما
لبدر الدين العنتابي .

منارة كمروس الحسن إذ جليت وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط ما آفة الهدم إلا خسة الحجر

وللعيني مؤلفات كثيرة أجملها عمدة القاري هذا الذي تقدم ذكره . ويقولون إنه ابتداء فيه سنة ٨٢١ وأتمه سنة ٨٤٧ هـ بعد فراغ ابن حجر من شرحه فتح الباري بخمس سنوات . وله أيضاً « نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار » في شرح معاني الآثار للإمام أبي جعفر الطحاوي في عشر مجلدات . وله « مغاني الأخبار في رجال معاني الآثار » في مجلدين . ومنها « البناية في شرح الهداية » للإمام المرغيناني في عشر مجلدات . ومنها « الدرر الزاهرة في شرح البحار الزاهرة » لشيخه الزهاوي في المذاهب الأربعة في مجلدين . ومنها عقد الجمان في تاريخ الزمان في خمس وعشرين مجلدات . وعد مؤلفاته أمرٌ يطول . فليرجع إليها في مقدمة كتابه عمدة القاري .

ومن رجالات مضر أعيان العلماء جلال الدين السيوطي وقد ترجم لنفسه في كتابه حسن المحاضرة . وأذكر باختصار هذه الترجمة فسرى فيها شيئاً كثيراً عن نظام البحث والدرس

والاشراف العالمي على الطلبة وأنواع العلوم التي كانت تدرس في ذلك الوقت، ورأيهم في بعض العلوم . وأخيراً تلك الصلة الروحية القوية بين الطالب والامتاذ.

قال : كان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة ٨٤٩ هـ وحملت في حياة أبي الى الشيخ محمد المجدوب رجل كان من كبار الاولياء بجوار المشهد النفيسي . ونشأت يتيمًا حفظت القرآن ولي دون ثمان سنين . ثم حفظت العمدة . ومنهاج الفقه ، والاصول وألفية ابن مالك . وشرعت في الاشتغال بالعلم في مستهل سنة ٦٤ هـ . وأجرت بتدريس العربية في مستهل سنة ٦٦ هـ وقد ألقت في هذه السنة فكان أول شيء ألفته شرح الاستعاذة والبسملة . وأوقفت عليه شيخنا شيخ الاسلام علم الدين البلقيني فكتب عليه تقريراً ولازمته في الفقه إلى أن مات . فلازمت ولده فقرأت عليه وأجازني بالتدريس والافتاء من سنة ٧٦ هـ . وحضر تصديري فلما توفي سنة ٧٨ هـ لزمته شيخ الاسلام شرف الدين المناوي فقرأت عليه قطعة من المنهاج .

ولزمت في الحديث والعربية شيخنا الامام العلامة تقي الدين الشبلي الحنفي فواظبته أربع سنين، وكتب لي تقريراً على شرح ألفية ابن مالك ، وعلى جمع الجوامع في العربية تأليني . وشهد لي غير مرة بالتقدم في العلوم بلسانه وبنانه ولم أفك عن الشيخ الى أن مات . ولزمت شيخنا العلامة غي الدين الكافيجي أربع عشرة سنة فأخذت عليه الفنون من التفسير والاصول والعربية والمعاني وغير ذلك وكتب لي إجازة عظيمة . . .

وشرعت في التأليف سنة ٨٦٦ هـ . وبلغت مؤلفاتي الى الآن ٣٠٠ كتاب سوى ما رجعت عنه . وهنا يخبرنا أنه لما حج شرب من ماء زمزم لأمور منها : أن يصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني ، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ بن حجر . ويقول أفيتت من مستهل سنة ٧١ هـ . . .

ورزقت التبهر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع . . . ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه ، والجدل ، والتصريف ، ودونها الانشاء والتوصل ، والفرائض . ودونها القراءات ولم آخذها عن شيخ . ودونها الطب . وأما علم الحساب فهو أعسر شيء عليّ وأبعده من ذهني وإذا نظرت في مسألة تتعلق

به فكأنما أحاول جبلاً أحمله . . . وقد كنت في بداية الطلب قرأت شيئاً في علم المنطق ثم ألقى الله كراهته في قلبي .

وممعت أن ابن الصلاح أفتى بتحريمه فتركته لذلك . وأما مشايخي في الرواية سماعاً وإجازة فكثير أوردتهم في المعجم الذي جمعته فيه وعدتهم نحو ١٥٠ شيخاً . ولم أكثر من مماع الرواية لاشتغالي بما هو أهم وهو قراءة الدراية . وهنا ذكر أسماء مصنفاته فهدّ في « التفسير وتعلقاته ، والقراءة » ٢٢ كتاباً منها : الاتقان في علوم القرآن ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ولباب المنقول في أسباب النزول ، ومقدمات الاقران في مبهات القرآن ، والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب . والكلام على أول الفتح وهو تصدير ألقاه لما باشر التدريس بجامع شيخون بحضرة شيخه البلقيني .

وهذا التصدير قد عثر عليه مخطوطاً فضيلة مولانا الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر الشيخ مصطفى عبد الرازق في دار الكتب الازهرية تحت رقم ٢٠٤ وورد في هذه المجموعة التي تحتوي على هذا التصدير أنها بخط المؤلف . وكان هذا التصدير موضوع الدرس الذي ألقاه فضيلته أمام حضرتي صاحبي الجلالة مولانا الملك فاروق الأول وجلالة الملك عبد العزيز آل سعود قبل صلاة الجمعة بالأزهر الشريف يوم ١١ يناير سنة ١٩٤٦ .

وهنا ننشر هذا التصدير فانه على صغر حجمه كما قال عنه فضيلة مولانا الأستاذ الاكبر « يفيد الباحثين في تطور الدراسات الاسلامية وأساليبها . وفي الطرق التي كانت تعتمد عليها مدارس المسلمين في إجازة طلابها وتخرجهم .

تصدير السيوطي (*)

وهذا هو نص التصدير الذي ألقاه الجلال السيوطي مذيلاً بتعليقات حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر :

تصدير مبارك ألقته يوم أُجْلِستُ للتدريس بجامع شيخو رحمه الله ، بحضرة شيخنا قاضي القضاة مريخ الاسلام علم الدين البُلقيني ^(١) وجماعة من القضاة والأفاضل وذلك يوم الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة ٨٦٧ هـ ، ^(٢) وقد مضى من عمري ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية أيام ^(٣) .

الحمد لله طالعت على هذا التصدير الكشاف ^(٤) وتفسير الامام الرازي ^(٥) وتفسير الامام ابن العربي ^(٦) والبحر لأبي حيان ^(٧) وأسباب النزول للواحيدي ^(٨) وتفسير

(*) عن المخطوط رقم ٢٠٤ فن الجامع بدار الكتب الازهرية ، والتصدير يقع في ثمانية وعشرين سطراً من ظهر الورقة السابقة للاخيرة ، وأربعة وعشرين سطراً في وجه الورقة الاخيرة ، وهذا المخطوط يحتوي على مؤلفات أخرى للسيوطي ، وقد كتب عليه أنه بخط الجلال السيوطي نفسه .

(١) هو الامام علم الدين صالح بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقيني ، ولد سنة ٧٩١ هـ . تولى مشيخة الحشائية بجامع عمرو بن العاص ، وهي المشهورة بزواية الامام الشافعي ، وتولى القضاء الاكبر في سنة ٨٢٦ هـ ألف تفسير القرآن ، قرأ السيوطي عليه الفقه وأجازته بالتدريس ، توفي في الخامس من رجب سنة ٨٦٨ هـ . (٢) يوافق ٢٧ يولييه سنة ١٤٦٣ .

(٣) لان السيوطي ولد بالقاهرة ليلة مستهل رجب سنة ٨٤٩ هـ الموافق ٣ اكتوبر سنة ١٤٤٥ .

(٤) هو التفسير القيم الذي ألفه الزمخشري جاز الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد المتوفى بخراسانية خوارزم سنة ٥٣٨ .

(٥) المقصود هو التفسير الكبير المسمى « مفاتيح الغيب » . والامام الرازي هو نضر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي المتكلم الاشعري المشهور ، ويعرف أيضاً بابن الخطيب ، وهو شافعي في الفقه ، ولد سنة ٥٤٤ هـ وقيل سنة ٥٤٣ هـ وتوفي يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦ هـ ولم يتم تفسيره فأتمه غيره بعد وفاته .

(٦) هو الشيخ محيي الدين محمد بن علي الطائفي الاندلسي الصوفي المعروف بالشيخ الاكبر المتوفى سنة ٦٣٨ وله تفسير كبير على طريقة أهل التصوف اختصره في ثمانية أسفار .

(٧) البحر المحيط في تفسير القرآن لابي حيان محمد بن يوسف النرناطي الجبالي أثير الدين . ولد في آخر شوال سنة ٦٥٤ هـ وسمع بالاندلس وأفريقية والاسكندرية ومصر والحجاز ، وهو شافعي يميل الى الظاهر ، توفي في ٢٨ صفر سنة ٧٤٥ هـ .

(٨) هو أسباب نزول القرآن لابي الحسن علي بن أحمد الواحيدي النيسابوري المتوفى سنة ٤٦٨ هـ في جمادى الآخرة وكان استاذ عصره في النحو والتفسير .

السجاوندي ^(١) وينبوع الحياة لابن ظفر ^(٢) وصحاح الجوهرى ^(٣) .
والخطبة الى آخر الصلاة من كلام الامام الشافعي رضي الله عنه ^(٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، والحمد لله الذي لا يؤدى شكرُ نعمة من نعمه إلا بنعمة
منه توجب على مؤدى ماضي نعمه بأدائها نعمةً حادثة يجب عليه شكره بها ، ولا يبلغ
الواصفون كنه عظمته ، الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه . أحمد حمداً كما
ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله ، وأستعينه استعانة من لا حول له ولا قوة إلا به .
وأستهديه بهداه الذي لا يضل من أنعم به عليه . وأستغفره لما أزلتُ وأخرت استغفار
من يقرّ بعبوديته ويعلم أنه لا يغفر ذنبه ولا ينجيه منه إلا هو . وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ^(٥) . صلى الله عليه وعلى آله كما صلى على ابراهيم
وآل ابراهيم إنه حميد مجيد ، ورضي الله عن السادة الصحابة أجمعين ، وعن إمامنا الامام
الشافعي المطلي وسائر الأئمة ، وعن سيدنا ومولانا شيخ الاسلام ووالده شيخ الاسلام
وسائر مشايخنا والسادة الحاضرين وجميع المسلمين ^(٦) .

أما بعد — فقد قال الله تعالى « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطاً مستقيماً ، وينصرك الله نصراً
عزيزاً » ^(٧) .

الكلام على هذه الآية من جهات : الأولى سبب النزول ومكانه وزمنه . الثانية علم اللغة .
الثالثة علم الإعراب . الرابعة علم المعاني . الخامسة علم التفسير ^(٨) .

- (١) هو محمد بن طيفور أبو عبد الله السجاوندي النزنوي ، توفي في حدود سنة ٥٦٠ هـ
(٢) هو حجة الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر المكي ، توفي بجمه سنة ٥٦٥ هـ .
(٣) « الصحاح في اللغة » للجوهري وهو أبو نصر اسماعيل بن هداد الجوهري الفارابي من أئمة اللغة
توفي بنيسابور في حدود سنة ٤٠٠ هـ .
(٤) خطبة « الرسالة » للامام الشافعي ، ص ٧ — ٨ من تحرير الشيخ احمد محمد شاكر
(٥) الى هنا ينتهي كلام الشافعي في خطبة « الرسالة »
(٦) هنا جاء في الأصل : قوله سيدنا ومولانا ، أقول هو شيخنا علم الدين البليثي ابن الشيخ سراج الدين
(٧) سورة ٤٨ مدنية نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية ، الايات ١ — ٣
(٨) هنا جاء في الأصل « الكلام على هذه الآية من جهات : الأولى سبب النزول الثانية الى آخره »

أقول: قدّمت أولاً الكلام على النزول وما يتعلق به ، ومناسبة تقديمه ظاهرة ، وثبتت بالغة وقدّمته على الاعراب ، لأنها تبين المعنى ، والاعراب فرع وموقوف على معرفته ، وثبتت بالاعراب وقدمته على المعاني الذي هو ثمرة الاعراب ، ثم تلاه المعاني ، ولما انتهت من الأدوات ذكرت المقصود بالذات من الآية وهو التفسير وبيان المراد ، ثم ختمت بالنهاية وهو علم التصوف . وهذا ترتيب حسن لطيف .

أما سبب النزول وما يتعلق به فقال الامام أبو الحسن الواحدي رحمه الله : روي عن ابن عباس انه لما نزل قوله تعالى : « وما أدري ما يفعل بي ولا بكم » ^(١) ، قال المشركون : كيف ندخل في دينك وأنت لا تدري ما يفعل بك وبمن اتبعك ؟ فنزل قوله تعالى : إنا فتحنا لك إلى آخره . قوله روي عن ابن عباس الخ أقول قوله ابن عباس هذا حكمه حكم المرفوع . وروي أنه لما نزل : ليغفر لك الله ، قال له أصحابه : هنيئاً لك يا رسول الله الجنة لك ! فما لنا ؟ فنزل : ليُدخل المؤمنين والمؤمنات جنات إلى آخره ^(٢) ، ولما نزل : ويتم نعمته عليك ، قالوا كذلك فنزل : « اليوم أكملت لكم دينكم » ^(٣) ، ولما نزل : وينصرك الله نصراً عزيزاً ، قالوا كذلك فنزل : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » ^(٤) .

وروي أن قوله تعالى : إنا فتحنا لك إلى آخره نزل بين مكة والمدينة في شأن الحديبية . قال أنس ^(٥) ، رضي الله تعالى عنه : لما رجعنا من الحديبية وقد حيل بيننا وبين دُسُكنا ونحن بالحزن والبكاء ، أنزل الله تعالى : إنا فتحنا لك إلى آخره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أنزل عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها . وفي رواية : مما طلعت

(١) سورة ٦ : آية ٩ (مكية) .

(٢) سورة ٨ : آية ٥ (مدنية) .

(٣) سورة ٥ : آية ٣ (نزلت بعرفات في حجة الوداع) .

(٤) سورة ٣٠ : آية ٤٧ (مكية) .

(٥) الامام أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الانصاري المدني . لازم رسول الله منذ هاجر الى أن مات وكان آخر الصحابة موتاً . واختلف في سنة وفاته ، قبل : سنة ٥٩٠ ، وقبل : سنة ٥٩١ ، وقبل : سنة ٩٢ هـ ، وقبل : سنة ٩٣ هـ .

عليه الشمس . وفي الصحيح انه نزل ليلاً^(١) .

وأما ما يتعلق بالآية من جهة اللغة، فقال الامام أبو النصر الجوهري في صحاحه : الفتح يطلق على النصر وعلى الحكم ، ومنه : « افتح بيننا وبين قومنا بالحق^(٢) » ، وعلى الماء يجري من عين أو غيرها . والمبين من أبان الشيء إذا أوضحه ، ومنه بان أي اتضح ، واستبان أي ظهر ، واستبينته أي عرفت ، والتبيين الايضاح والوضوح أيضاً . والبيان الفصاحة وما به يتبين الشيء من دلالة وغيرها . ومبين أيضاً اسم ماء ، قال الشاعر ياريتها اليوم على مبين ، أي ياري نأقي على هذا الماء . والمغفرة من الغفر وهو الستر والتغطية ، ومنه غفرت المتاع جعلته في الوعاء . والمغفر زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ، ويقال من هذه المادة : استغفر الله لذنبه ومن ذنبه وذنبه ، والفعل غفر يغفر ، وجاء في لغة غفر يغفر ، والمصدر مغفرة وغفراناً وغفرأ ، وجاء في لغة غفرأ . والذنب الجرم ، والفعل منه أذنب . والنعمة اليد والصنيعة ، وكذلك النعمى والنعماء والنعيم . ويقال : فلان واسع النعمة أي واسع المال . والهذى يطلق على أمور : أحدها خلق الاهتداء ، ومنه : « انك لا تهدي من أحببت^(٣) » : الثاني الدلالة بلطف ، ومنه : « وإنك لتهدي الى صراط مستقيم^(٤) » : الثالث التقدم ، ومنه هوادي الخيل لتقدمها . الرابع التبين ، ومنه : وأما محمود فهديناهم ، كذا قيل ، ويظهر لي أن هذا متحداً مع الثاني . الخامس الاهام ، ومنه : « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى^(٥) » أي ألهم لمصالحه . السادس الدعاء ، ومنه : « ولكل قوم هاد^(٦) » ، أي داع . والصرط هو الطريق الواضح ، والهاد لغة قريش ، وعامة العرب يجعلونها سيناً ، وكعب يجعلونها زايأ ، وأهل الحجاز يؤنثونه كالطريق والسبيل والزقاق والسوق ، وبنو تميم يذكرون هذا كله . وجمعه صرط ككتاب وكتب ، والمستقيم

(١) الحديث على هذا النحو أقرب الى رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ونصه كما جاء في صحيح البخاري : « لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس » . وفي غيره من كتب الحديث : « نزل علي البارحة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها » . وأما على نحو ما رواه أنس فلا غلب هو : « لقد أنزلت علي الليلة آية أحب إلي مما على الارض » .

(٢) سورة ٧ آية ٨٩ (مكية) .

(٣) سورة ٢٨ آية ٥٦ (مكية) .

(٤) سورة ٤٢ آية ٥٢ (مكية) .

(٥) سورة ٢٠ آية ٥٠ (مكية) .

(٦) سورة ١٣ آية ٧ (مدنية) .

ضد المعوج . والنصر مصدر نصره على عدوه ينصره والاسم منه النُّصرة . ويقال نصر الغيث الأرض أي غاثها . ونصرت الأرض أي مطرت . والعزير هو الغالب ، ويطلق على المحتاج إليه القليل الوجود .

وأما ما يتعلق بها من جهة الإعراب فقوله : ليغفر الله لك . اختلف في اللام هنا ، فقال صاحب « الكشف » رحمه الله : للتعليل . قال : فإن قلت : كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة ؟ قلت : لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدّد من الأمور الأربعة وهي المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز . وأجاب بجواب آخر وهو أنه يجوز أن يكون فتح مكة ، من حيث إنه جهاد للعدو ، سبباً للغفران والثواب ، قوله : وأجاب الخ ، أقول : هذا الجواب على تسليم أنه جعل مكة ^(١) للمغفرة . وأجاب الامام فخر الدين ^(٢) بجوابين غير هذين . وقيل اللام هنا للعاقبة ، والمراد أن الله فتح لك لكي يجعل لك علامة لغفرانه لك ، وقيل هي لام القسم وكسرت لحذف النون من الفعل لشبهها بلام كي ، ورد هذا الوجه بأن لام القسم لا تكسر وينصب بها ، ولو جاز هذا لجاز ليقوم زيد في معنى ليقوم زيد . قال أبو حيان في « البحر » مجيباً عن هذا الرد : أما الكسر فقد علل بأنه لشبهه بلام كي ، وأما النصب فله أن يقول ليس هذا نصباً لكنها الحركة التي تكون مع وجود النون بقيت بعد حذفها دلالة على الحذف . قال : وبعد ، فهذا القول ليس بشيء ، إذ لا يحفظ من كلامهم والله لنقوم ولا بالله ليخرج زيد بكسر اللام وحذف النون وبقاء الفعل مفتوحاً .

وأما ما يتعلق بها من جهة المعاني ، ففي قوله : « إِنَّا فَتَحْنَا » ، وقوله : « ليغفر لك الله » التفات من التكلم إلى الغيبة ، ونكتته أنه لما كان الغفران وإتمام النعمة والهداية والنصر يشترك في إطلاقها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وغيره بقوله : « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ^(٣) ، وقوله : « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم » ^(٤) ، وقوله :

(١) هكذا في الاصل ولعل الصواب « جعل فتح مكة » .

(٢) المقصود فخر الدين محمد بن عمر الرازي صاحب التفسير الكبير المسمى « مفاتيح الغيب » .

(٣) سورة ٤ آية ٨ (مدنية) (٤) سورة ٢ آية ٤٠ و ٤٧ و ١٢٢ (وهي جميعاً مدنية)

« يهدي من يشاء ^(١) » ، وقوله : « إنهم لهم المنصورون ^(٢) » ، ولم يكن الفتح لأحد إلا للرسول ، أسنده تعالى الى نون العظمة تفخيماً لشأنه ، وأسند تلك الأشياء الأربعة الى الظاهر واشتركت الخمسة في الخطاب له ، صلى الله عليه وسلم ، تأنيساً له وتعظيماً لشأنه ، ولم يؤت بالاسم الظاهر ، لأن في الإقبال على المخاطب ما لا يكون في الاسم الظاهر . وفي قوله : « نصراً عزيزاً » ، إسناد العزة الى النصر وهو مجاز ، فالعزيز حقيقة هو المنصور ، صلى الله عليه وسلم ، وقيل فيه مجاز الحذف ، والتقدير « عزيزاً صاحبه » . وأعيد لفظ الله في : « وينصر الله » لمّا بعد عما عطف عليه وليكون المبدأ مسنداً الى الاسم الظاهر والمنتهي كذلك . قوله : التفات الخ ، أقول : لم يذكر ذلك في « الكشاف » وأشار اليه أبو حيان في « البحر » تلويحاً لا تصريحاً ، قوله : وقيل فيه مجاز الحذف ، أقول : هذا من تعبيري وتصريفي .

وأما ما يتعلق بها من جهة التفسير ، قوله « إنّنا فتحنا » في المراد بالفتح هنا أقوال : أحدها فتح مكة واختاره الفخر ^(٣) الرازي من الجميع وأبو حيان ، والثاني عام الحديبية عند انفكاكه منها . والثالث قاله مجاهد ^(٤) فتح خيبر وفي بعض الآي ما يدل عليه . والرابع قال الضحاك ^(٥) المراد فتح الله له بالإسلام والنبوة والدعوة والحجة ^(٦) والسيف ، والفتح ^(٧) أي من أعظم وهو رأس الفتوح كلها ، إذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو عنه ومشتق منه . الخامس قال غيره : المراد نصر الله تعالى على أهل مكة أنك تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت . قوله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال ابن عباس : ما تقدم قبل النبوة وما

(١) مكرر في أكثر من آية . مثلاً ٢: ١٤٢ ، ٢١٣ ، ٢٧٢ (وهي جميعاً مدنية)

(٢) سورة ٣٧ آية ١٧٢ (مكية)

(٣) في الاصل « أبو بكر » وهو لا شك سهو ، وكسنية الرازي المفسر صاحب مفاتيح الغيب هي أبو عبد الله أو أبو الفضل وهو بلقبه أعرف .

(٤) مجاهد بن جبر المكي الامام المفسر الحافظ ، مات سنة ١٠٣ هـ بمكة عن ثلاث وثمانين سنة .

(٥) الضحاك بن مخلد الشيباني البصري الحافظ ، مات بالبصرة في الرابع عشر من ذي الحجة

سنة ٢١٢ هـ عن تسعين سنة وأشهر (٦) لعله « الدعوة بالحجة » كما ورد في تفسير أبي السعود المطبوع

سهماش تفسير الرازي . (٧) لعله « ولا فتح » كما جاء في تفسير أبي السعود المذكور .

تأخر بعدها . وقال غيره : ما وقع وما لم يقع على طريق الوعد بأنه مغفور له . وقال سفيان : ما تأخر : هو ما لم يعلمه . وقال آخر : المتقدم المتأخر معاً ما كان قبل النبوة . وقال آخر : تأكيد له بالمعنى كما تقول : أحبك من عرفك ومن لم يعرفك . وقال آخر : ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب أبيك آدم وحواء وما تأخر ذنوب أمتك . وقال آخر : المعنى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه . قوله « ويتم نعمته عليك » قيل بالنبوة والحكمة ، وقيل بفتح مكة والطائف وخيبر ، وقيل بخضوع من استكبر ، والصحيح بدخول الجنة . قوله « ويهديك » المراد يثبتك على الهدى كما في قوله « يأيها النبي اتق الله » ^(١) « يأيها الذين آمنوا آمنوا » وأمثال ذلك . قوله « صراطاً مستقيماً » المراد به هنا الاسلام .
وأما من جهة علم التصوف فلم يرد إلينا ما كتبه السيوطي في تصديره عنه .

وهذا التصدير يعطينا صورة واضحة عن طرق البحث والدرس وما كان يعتمد عليه في اجازة الطلاب وتخريجهم في ذلك العصر . وبعد أن عدّ السيوطي كتبه في فن التفسير أخذ يعدها في « فن الحديث وتعلقاته » وفي « فن الفقه وتعلقاته » . وفي « فن العربية وتعلقاته » وفي فن الاصول ، والبيان ، والتصوف ، وأخيراً في التاريخ والأدب .
وعده هذه المؤلفات هنا أمر يطول شرحه فليرجع إليها في كتابه حسن المحاضرة ج ١ ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ .

وكما عرفت مصر هؤلاء في ظل الأزهر القديم عرفت كثيرين غيرهم في مختلف الفنون والعلوم فعرفت مثلاً من أئمة القراءات أبا القاسم الشاطبي صاحب الشاطبية ذاك المقرئ الضريع أستاذ القراءات في المدرسة الفاضلية الذي كان رأساً في فنه منقطع القرنين توفي سنة ٥٩٠ هـ وعرفت في فقه الحنفية « السروجي » صاحب شرح الهداية توفي سنة ٧٠١ هـ وعرفت في هذه الناحية أيضاً ابن التركماني وقد شرح الهداية كما شرح الجامع الصغير وألقاه دروساً بالمنصورة توفي سنة ٧٤٤ هـ .

كما عرفت في التاريخ المقرئ صاحب الخطوط وغيرها وشمس الدين السخاوي صاحب كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع في ست مجلدات وهو من أوسع المصادر التي عرفها

الباحثون في تاريخ القرون الوسطى ، استدرك فيه على شيخه ابن حجر العسقلاني ما فاتته من أعيان المائة الثامنة وبسط تاريخ أهل القرن من رجال ونساء ممن توفوا في العصر المذكور أو تأخر إلى القرن العاشر . وله أيضاً الجواهر والدرر في ترجمة الشيخ ابن حجر . وفتح المغني في شرح ألفية الحديث . والمقاصد الحسنة في الأحاديث الجارية على الألسنة . ويقول ابن العماد في كتابه شذرات الذهب إنه أجمع وأتقن من كتاب السيوطي المسمى بالجواهر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة . وله غير ذلك توفي سنة ٩٠٢ هـ ويكفي ذلك عرضاً وتمثيلاً لبيان انتاج من عاشوا بعصر في ظل الأزهر في ذلك الزمن السحيق وهو انتاج قيم عظيم في بابه ليس في ذلك من شك .

نظام التعليم في الأزهر القديم

وكان النظام التعليمي للأزهر في ذلك الوقت يتلخص فيما يلي : -

- ١ - كان هناك أستاذ أكبر للمادة يشرف على من دونه . وهؤلاء كانوا يحرصون على ملازمة أستاذهم حتى الممات وكل أمنيتهم أن يصلوا إلى مثل مرتبته في الفن . فالسيوطي مثلاً يتحدثنا عن نفسه يقول : « لما حجبت شربت من ماء زمزم لأمور منها : أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني . وفي الحديث إلى رتبة الحافظ بن حجر » . ويقول : كان أول شيء أنفته « شرح الاستعاذة والبسملة » وأوقفت عليه شيخنا شيخ الاسلام علم الدين البلقيني فكتب عليه تقريظاً ولازمته في الفقه إلى أن مات .
- ٢ - كان الطالب يصح أن يجاز في مادة ويرجأ في الأخرى . فهو في مادة أستاذ معلم وفي أخرى طالب تحت الاجازة .
- ٣ - كانت الشهادات تعطى من الأساتذة وتسمى إجازة . وكان الطالب إذا آس من نفسه القوة في العلم والقدرة على التدريس والافتاء طلب من شيخه أن يجيزه . وسننشر بعد قليل صورة إجازة من هذه الاجازات .
- ٤ - كان للطالب منتهى الحرية في اختيار المادة ، والاستاذ ، وله الحرية أيضاً في الغياب والحضور .

• — كان لكل كتاب قارئ غالباً . فمثلاً نرى البدر العيني صاحب عمدة القاري شرح صحيح البخاري يسمع صحيح البخاري على أستاذه العراقي بقراءة الشهاب أحمد بن منصور الأشموني . ويسمع اللمام في أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد بقراءة غيره . ويسمع محاسن الاصطلاح وتضمنين مقدمة ابن الصلاح على أستاذه سراج الدين البلقيني بقراءة السراج قاري الهداية وهكذا .

وكان الأستاذ قبل أن يلقي درسه يتوجه الى الله يستلهم العون مفتتحاً درسه بسم الله الرحمن الرحيم ثم يحمد الله ويصلي على نبيه . ويرشد الى المصادر التي رجع اليها في درسه ويسند كل رأي . أو اعتراض أو جواب لقائله . وكان تلقين الطالب المعلومات يأتي إما عن طريق الرواية أو عن طريق الدراية .

وكانت هناك صلة روحية قوية بين الأستاذ والطالب ، مربوطة برباط العلم الخالص لوجه الله . بل قل كانت هناك بنوة في العلم . فالأستاذ والد الطالب أبناء والكل يكوّنون أسرة علمية كأسرة النسب بل هي أقرب ، لأن أساسها المودة التي لا تعرف العقوق . ومظاهر هذه الصلة الروحية كانت تتجلى من ناحية الأستاذ في عطفه على الطالب ، فهو للطالب في العلم أستاذ ، وفي الخير موجه ، وفي النافع مرشد ، وفي البحوث مشرف مخلص . كنت ترى الأستاذ يسأل عن ابنه في العلم إذا غاب ، ويعودده إذا مرض ، ويعنى به في جميع شؤونه حتى ملائياً .

روى ابن ثعلب الادفوي الشافعي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ في كتابه الطالع السعيد « أن ابن دقيق العيد كان يصحب قاضي القضاة السروجي الحنفي . فكان إذا سافر الى القاهرة يذكر له كل سفرة جماعة من الطلبة المعروفين بالخير ويحضر سجلات لهم من غير أن يعرفوا . وكما كان هناك العطف الخالص من ناحية الأستاذ ، كان هناك الاحترام والتوقير والاكبار والاجلال من ناحية الطالب ، ويجمع السجل التعاون في طلب الحقيقة ونشر العلم .

قلنا فيما تقدّم إن الشهادة كانت تعطى للطالب من الأستاذ وتسمى اجازة . وها هي ذي صورة اجازة من ابن دقيق العيد الى تلميذه شمس الدين بن المفضل بالفتوى والتدريس .

ابتدأها بعد سؤال شمس الدين له بالاجازة قال :

«استخير الله تعالى في الإيراد والإصدار، واعتصم به من آفتى التقصير والاكتنار، واستغفر الله فيما فرط في الجهر والامرار، وأقول: إني ذاكرت فلاناً زينه الله بالتقوى وحرمه في السر والنجوى، في فنون من العلوم الشرعية، العقلية، والنقلية، فألفيته يرجع إلى معقول صحيح، ومنقول صريح، وإطلاع على المشكلات، وإضطلاع بحل المعضلات، لاسيما في فقه المذهب، فانه أصبح فيه كالعلم المذهب. وقام بعلم العربية، والتفسير، فصار فيها العاضل النحرير، وقد أجبته إلى ما التمس، وإن كان غنياً بما حصل واقتبس، فليدرس مذهب الامام الشافعي رضى الله عنه لطالبه. وليجب المستفتي بقله وفيه، ثقة بفضل الباهر، وورعه الوافر، وفطرته الوقادة، وألمعيته المنقادة، والله تعالى ينفعنا وإياه بما علمناه، ويرفعنا بذلك لديه فما المقصود سواه».

وكان الطالب يعني بأمر آبائه في العلم فنرى مثلاً. العيني شارح البخاري المتقدم ذكره يؤلف كتاباً يستوفى فيه تراجم شيوخه يسميه «معجم الشيوخ»، ونرى الامام السيوطي يترجم لمائة وخمسين من شيوخه في معجم كبير يسميه «حاطب ليل وجارف سبل». ونرى الامام النووي في كتابه «تهذيب الاسماء واللغات» يرسم سلسلة لمن تفقه عليهم مبتدئاً بأستاذه حتى الامام الشافعي. ثم يمضي إلى رسول الله صلوات الله عليه فيقول: «فأما أنا فأخذت الفقه قراءةً وتصحيحاً وممّاعاً وشرحاً وتعليقاً عن جماعات أولهم... ثم يمضي في السلسلة إلى أن يصل الى رسول الله.

ونراه في مقدمة هذه السلسلة يقول: «وهذا — أي العناية بأمر سلسلة التفقه — من المطلوبات المهمات، والنفائس الجليلات، التي ينبغي للمتفقه والفقهاء معرفتها وتقبح به جهالتها، فإن شيوخه في العلم آباء في الدين، وصلة بينه وبين رب العالمين. وكيف لا يقبح جهل الانسان بهم، وهم الوصلة بينه وبين ربه الكريم الوهاب، مع أنه مأمور بالدعاء لهم، وبرحم وذكر ما أكرمهم، والثناء عليهم، وشكرهم».

ونرى النووي هذا أيضاً في مقدمة كتابه «المجموع» يعقد فصلاً في النهي الأكيد والوعيد الشديد لمن يؤذي أو ينتقص الفقهاء والمتفقهين والحث على إكرامهم وتعظيم حرماهم ثم يعقد بعد ذلك فصلاً آخر في آداب المعلم والمتعلم.

وهو من أحسن ما خطت يد إنسان في باب ، وهو فيه دستور عظيم ، أحيل القارىء عليه ولولا خوف التطويل لنقلته إليه .

سارت الدراسات الاسلامية بمصر في ظل الأزهر فأنبث نباتاً حسناً الى أن غشيت غاشية من سلطان ظاهرتين اثنتين كانتا فأوحنا الى أذهان الكثيرين معنى أضر بهذه الدراسات ضرراً بليغاً .

تحريم الاشتغال بالمنطق

والنهي عن التأليف

أما الظاهرة الاولى : وهي تحريم الاشتغال بالمنطق فلقد تأثرت بها مصر بعد أن أفتى أبو عمرو بن الصلاح في الشام بتحريم الاشتغال بالمنطق تعلماً وتعليماً — توفي ابن الصلاح هذا « سنة ٦٤٣ هـ » — أما أن مصر تأثرت بها فالسيوطي في كتابه حسن المحاضرة — ج ١ ص ١٥٧ — يقول : « وقد كنت في مبادئ الطلب قرأت شيئاً في علم المنطق ثم ألقى الله كراهته في قلبي وممعت أن ابن الصلاح أفتى بتحريمه فتركت له ذلك »

ولم يكتف السيوطي بعد أن سمع هذه الفتوى بترك الاشتغال بالمنطق ، بل ألف كتاباً في تحريم الاشتغال به مما « القول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق » . وهذا الكتاب عده السيوطي مع كتبه التي ذكر عدتها في كتابه حسن المحاضرة .

ثم بعد ذلك ألف السيوطي نفسه كتاباً آخر نهى فيه عن علم الكلام بجوار النهي عن المنطق مما « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام » وهذا الكتاب مخطوط موجود بمكتبة الأزهر تحت رقم ٢٠٤ ضمن مجموعة يقال إنها بخط السيوطي نفسه . وهذه المجموعة عثر عليها فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق وفيها التصدير المتقدم له عن سورة الفتح ومقدمة هذا الكتاب — « صون المنطق والكلام عن فن المنطق » — تعطينا صورة واضحة عما كان يجري في ذلك الوقت من نقاش وجدل بين المؤيدين لدراسة المنطق والممانعين لها . لذلك أنشر منها قطعة . قال تحت هذا العنوان :

صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام

« وبعد » فقد كنت قديماً في سنة سبع أو ثمان وثمانئة ألفت كتاباً في تحريم الاشتغال بفن المنطق سمّيته « القول المشرق » ضمنته نقول أئمة الاسلام في ذمه وتحريمه وذكرت فيه أن شيخ الاسلام أحد المجتهدين تقي الدين بن تيمية ألفت كتاباً في نقض قواعده ولم أكن إذ ذاك وقفت عليه ومضى على ذلك عشرون سنة فلما كان في هذا العام وتحديث بما أنعم الله به عليّ من الوصول الى رتبة الاجتهاد . ذكر ذاكر أن من شروط الاجتهاد معرفة فن المنطق . وقد فقد هذا الشرط عندي بزعمه ، وما شعر المسكين أنني أحسنه أكثر ممن يدّعيه ويناضل عليه ، وأعرف أصول قواعده وما بنيت عليه وما يتولد منها معرفة ما وصل اليها شيوخ المنطقة الآن إلا شيخنا « الكافيحي » فقط . فتطلبت كتاب ابن تيمية حتى وقفت عليه فرأيت مما « نصيحة أهل الايمان في الرد على منطق اليونان »

وأحسن فيه القول ما شاء من نقض قواعده قاعدة قاعدة وبيان فساد أصولها فلخصته في تأليف لطيف سمّيته « جهد القريحة في تجريد النصيحة » .

ثم إن كثيراً من المحبطين الذين هم عن تحقيق العلم بمعزل لهجوا بأن يقولوا ما الدليل على تحريمه . وما مستند ابن الصلاح في افتائه بذلك ؟ ونحو ذلك من العبارات . والعجب أنهم يناضلون عن المنطق ولا يتقنونه . ويدأبون فيه وفي أبحاثهم لا يستعملونه فيخبطون فيه خبط عشواء ، ولا يهتمون عند المناظرة والاستدلال إلا إلى عمياء .

ولقد اجتمع بي بعض من قطع عمره في المنطق فرأى قول ابن الصلاح في فتاويه : « وليس الاشتغال بتعلمه وتعليمه مما أباحه الشارع ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين » فقال : هذه شهادة على نفي فلا تقبل . فقلت : يا سبحان الله . لا طريق أهل الشرع سلكتم ولا طريق أهل المنطق اعتمدتم ! أما أهل الشرع فيقولون : إن النفي إذا كان من أهل الاستقراء التام فانه يقبل ويعتمد . وقد جرى على ذلك أهل الحديث ، وأهل الفقه ، وأهل العربية لغة ونحواً وتعريفاً .

وقد رأيت أن أصنف كتاباً مبسوطاً على طريقة أهل الاجتهاد والاستدلال جامعاً مانعاً

وبالحق صادعاً أبين فيه صحة ما ادعاه ابن الصلاح من نسبة نفي الاباحة الى المذكورين .
ولما شرعت ولزم منه الانجرار الى نقل نصوص الأئمة في منع النظر في علم الكلام لما بينهما من
التلازم ميمت الكتاب « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام » ... الخ . انتهى
كلام السيوطي .

لا يعنينا هنا تتبع تاريخ هذه الظاهرة وهل أول من شنها بمصر السيوطي أم سبقه بها
غيره كابن تيمية مثلاً وقد أقام بمصر مدة سبع سنين كان طبعاً يبت فيها أفكاره ، لا يعنينا
هذا بل الذي نقصده هو أن علماء مصر لم يسلموا من التأثر بالقول بتحريم الاشتغال بالمنطق
وظهر هذا الأثر في جدلهم ونقاشهم ومؤلفاتهم فصرّ ذلك بسير الحياة العلمية في مصر أو
بعبارة أخرى في الأزهر فقد كانت عائناً عاك التقدّم العلمي وكانت حرباً على علم غايته ترقية
فكرة الحق .

ولي أو للقارىء أن يسأل اذا كان من شروط الاجتهاد معرفة المنطق كما يعترف بذلك
السيوطي نفسه فكيف يحرم الاشتغال به تعالماً وتعليماً ابن الصلاح وابن تيمية والسيوطي ؟
وإذا كانت الظاهرة الأولى أفتى بها في الشام وأخذت تسمى حتى دخلت مصر فتأثرت بها
الحركة العلمية في الأزهر فلقد ظهرت الثانية وهي النهي عن التأليف في مصر فنأدى بها عالم
من علمائها هو شمس الدين البابلي الشافعي القاهري الأزهرى المتوفى سنة ١٠٧٧ هـ .

نسى البابلي هذا عن التأليف واعتبره مضيعة للوقت فلقد فرغ في زعمه التأليف في سائر
الفنون قال « في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ج ٤ ص ٤١ » :

« التأليف في هذه الأزمان من ضياعة الوقت فإن الانسان إذا فهم كلام المتقدمين الآن
واشتغل بتفهمه فذاك من أجل النعم وأبقى لذكر العلم ونشره ، والتأليف في سائر الفنون
مفروغ منه وإذا بلغه أن أحداً من علماء عصره ألف كتاباً يقول : لا يؤلف أحد كتاباً
إلا في أحد أقسام سبعة ولا يمكن التأليف في غيرها وهي إما أن يؤلف في شيء لم يسبق
إليه يخترعه ، أو شيء ناقص يتممه ، أو شيء مستغلق يشرحه ، أو طويل يختصره دون أن
يخل بشيء من معانيه ، أو شيء مختلط يرتبه أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبينه ، أو شيء
مفرق يجمعه . انتهى كلام البابلي .

وإذا كانت الظاهرة الأولى قد غلت العقل عن النظر في علم المنطق ومن باب أولى الفلسفة التي هي كلُّ هذا الجزء غلته عن العلم الذي يرينا كيف تفكر بل كيف ينبغي أن تفكر . فهي من ناحية أخرى قد أضرت بالحياة الاجتماعية ، فأوقعت بعض الأفراد في نزاع جرّ إلى خصومة فعداوة .

إذا كانت الظاهرة الأولى قد فعلت فعلها هذا فوق ما ضيعت من وقت في نقاش فارغ فان الظاهرة الثانية — ظاهرة النهي عن التأليف — قد خلقت لنا هذه الحواشي والتقارير وتقارير التقارير . وما إلى ذلك من الغلو في الصناعات اللفظية .

والآن أعرض أشهر الكتب الازهرية التي تدرس في الازهر لنرى العصور التي ألقت فيها ، وأثر الازهر في هذه الكتب ، وفي أي العلوم كان أكثر أثراً .

أشهر الكتب التي تدرس في الازهر

النحو

١ — اجرومية محمد بن داود الصنهاجي توفي عام ٧٣٣ هـ

شروحها

١ — شرح الشيخ حسن الكفراوي المتوفي عام ١٢٠٢ هـ

٢ — « » خالد الأزهرى « » ٩٠٥ هـ مع حاشيتي أبي النجاء والطار

٢ — كتب ابن هشام المتوفي عام ٧٦١ هـ

١ — قطر الندى ٢ — شذور الذهب ٣ — مغني اللبيب

٣ — ألفية ابن مالك المتوفي عام ٦٧٢ هـ

شروحها

١ — ابن عقيل المتوفي ٧٦٩ هـ

٢ — الاشعوني « » ٩٠٠ هـ مع حاشية الصبان المتوفي ١٢٠٦ هـ

علوم البلاغة

- ١ — رسالة أبي القاسم السمرقندي المتوفى سنة ٨٠٩ هـ مع شروحاتها وحواشيها
- ٢ — رسالة الدردير » » ١٢٠١ هـ
- ٣ — تلخيص المفتاح للقزويني » » ٧٣٩ هـ وأهم شروحه
- ١ — مطول سعد الدين التفتازاني المتوفى ٧٩١ هـ

المنطق

- ١ — سلم الأخضر المتوفى عام ٩٤١ هـ
- ٢ — إيساغوجي وضعه فرغوريوس وشرحه الأبهري المتوفى عام ٦٦٣ هـ
- ٣ — الشمسية لعلي بن عمر القزويني المتوفى عام ٦٧٥ هـ
- ٤ — موجز لمحمد بن يوسف السنوسي المتوفى عام ٨٩٢ هـ

التوحيد

- ١ — الجوهرة لأبراهيم بن إبراهيم اللقاني ١٠٤١ هـ
- ٢ — الخريدة للدردير (سبق ذكره)
- ٣ — كتب السنوسي (ذكر سابقاً)
- ٤ — عقائد النسفي : لنجم الدين أبو حافظ عمر بن حمد توفى سنة ٥٣٧ هـ

التفسير

- ١ — الجلالين للإمامين الجليلين جلال الدين المحلي المتوفى ٨٦٤ هـ وجلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١ هـ
- ٢ — نخر الدين الرازي المتوفى ٦٠٦ هـ
- ٣ — السراج المنير للخطيب القزويني » ٩٧٧ هـ
- ٤ — إرشاد العقل السليم لأبي مسعود العمادي التركي » ٩٨٢ هـ

- ٥ — البيضاوي المتوفي ٧١٦ هـ
 ٦ — السيوطي ٩١١ هـ
 ٧ — الطبري ٣١٠ هـ
 ٨ — مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات المعروف بالنسفي توفي سنة ٧٠١ هـ
 أو ٧١٠ هـ

الحديث والسيرة والمصطلح

- ١ — المواهب اللدنية للقسطلاني المتوفي سنة ٩٢٣ هـ
 ٢ — الشئائل للترمذي ٢٧٩ هـ
 ٣ — الجامع الصغير للسيوطي ٩١١ هـ
 ٤ — الشفا للقاضي عياض ٥٤٤ هـ
 ٥ — البيقونية ألفه أحد علماء القرن الحادي عشر للهجرة

الاصول

- ١ — جمع الجوامع لعبد الوهاب السبكي المتوفي سنة ٧٧١ هـ
 ٢ — ابن الحاجب ٦٤٦ هـ

الفقه

١ — فقه الحنفية

- ١ — الهداية لعلي الميرغنائي المتوفي ٥٩٣ هـ
 ٢ — كنز الدقائق لعبد الله بن احمد النسفي المتوفي ٧١٠ هـ، مع شروح العيني المتوفي ٨٥٧ هـ، وملاً مسكين المتوفي ٩٥٠ هـ، وابن نجم المتوفي ٩٧٠ هـ، وممصطفى الطائي المتوفي ١١٩٢ هـ.

- ٣ — نور الايضاح لحسن الشرنبلالي المتوفي ١٠٦٩ هـ
 ٤ — مراقي الفلاح مع حاشية الطهطاوي المتوفي ١٢٣١ هـ.

- ٥ - شرح المصكفي المتوفي عام ١٠٨٨ هـ المسمى الدر المختار مع حاشية ابن عابدين المتوفي ١٢٥٣ هـ على تنوير الأبصار لمحمد بن عبد الله التمرشي المتوفي سنة ١٠٠٤ هـ .
- ٦ - كتاب غرر الأحكام وشرحه المسمى درر الأحكام لملا خسر المتوفي عام ٨٨٥ هـ .

٢ - فقه الشافعية

- ١ - منهاج الطالبين للنووي المتوفي عام ٦٧٦ هـ ، وهو مقتبس من كتاب المحرر للرافعي المتوفي عام ٦٢٣ هـ . وأشهر الشروح التي كتبت على المنهاج هي :
- ٢ - النهاية للرمل المتوفي سنة ١٠٤٤ .
- ٣ - تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي المتوفي عام ٩٧٣ أو ٩٧٤ هـ .
- ٤ - التحرير لتركيا الانصاري المتوفي عام ٩٢٦ هـ .
- ٥ - منهج الطلاب لتركيا الانصاري أيضاً .
- ٦ - شرح ابن القاسم الغزي المتوفي عام ٩١٨ هـ المسمى القول المختار .
- ٧ - مختصر أبي شعاع الأصفهاني المتوفي حوالي عام ٥٠٠ هـ .

٣ - فقه المالكية

- ١ - الرسالة لعبد الله بن أبي زيد القيرواني المتوفي عام ٣٨٨ هـ . وقد شرح هذه الرسالة كثيرون منهم : أبو الحسن الشاذلي المتوفي ٩٣٩ هـ ، والتتائي المتوفي عام ٩٤٢ هـ ، والأجهوري المتوفي ١٠٦٦ هـ .
- ٢ - مختصر خليل بن اسحق المتوفي ٧٦٧ هـ ولهذا المختصر الذي كتبه مكانة سامية بين المالكية أشبه بمكانة كتاب النووي بين الشافعية . وقد شرحه كثيرون نذكر من بينهم الخطاب والمازني والتتائي ، والأجهوري ، وعبد الباقي بن يوسف الزرقاني المتوفي ١٠٩٩ هـ ، والخرشي المتوفي عام ١١٠١ هـ ، والدردير المتوفي ١٢١٠ هـ ومحمد عليش المتوفي سنة ١٢٩٩ هـ .
- ٣ - متن العشماوية لعبد الباري العشماوي مع شرح احمد بن التركي المتوفي حوالي عام ٩٩٢ هـ .
- ٤ - العزية وقد شرحها كل من ابن التركي والفيشي والزرقاني .

٤ - فقه الختابة

١ - دليل الطالب لمربي بن يوسف المتوفى ١٠٣٣ هـ ومنتهى الايرادات لمحمد بن أحمد الفتوحى .

هذه هي أشهر الكتب الأزهرية والعصور التي ألقت فيها .
واذا نظرنا الى أثر الأزهر في هذه العلوم ونسبنا العالم المصري الى الأزهر نجد أن الأزهر له أكبر الأثر في أصول الفقه وفي النحو والحديث والتفسير والفقه فابن السبكي^(١) وابن الحاجب^(٢) مصريان . وكذلك النحو فابن هشام مصري وهو الذي قال عنه ابن خلدون « ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية أنمى من سيديويه » . إلى آخر ما تراه بعد أن ترجع إلى جنسية مؤلف الكتاب .

هذه صورة مصغرة عرضناها للأزهر القديم والآل نرى الأروار التي مرّت به حتى وصل الى ما هو عليه الآن .

(١) عبد الوهاب السبكي ولد بالقاهرة ولازم الاشتغال بالفنون على أبيه وغيره حتى مهر وهو شاب ويخبرنا صاحب كتاب معجم المطبوعات العربية والمعرية يقول « ومما قرأته في كتاب مخطوط ما يأتى أجاز له ابن الشحنة ويونس الدبوسي وسمع الصابوني وابن سيد الناس ثم قدم مع والده الى دمشق فسمع بها على زينب بنت الكحال وقرأ بنفسه على المزني ولازم القلمي وقال الشيخ عبد الوهاب الشعرائي في كتابه الاجوبة المرضية أن أهل زمانه رموه بالكفر وتحزبوا عليه وأتوا به متبذراً مغلولاً من الشام الى مصر وجاء معه خلائق من الشام ليشهدوا عليه ثم تداركه اللطف على يد الشيخ جمال الدين الاسنوي . وكتابه جمع الجوامع هذا جمعه من زهاء مائة مصنف مشتمل على زبدة ما في شرحه على مختصر ابن الحاجب والمنهاج مع زيادات وبلاغة في اختصار (معجم المطبوعات العربية والمعرية بجمع فؤاد الاول للغة العربية تحت نمرة ١٥٨٦ ج ٢ عمود ١٠٢، ١٠٣) »

(٢) ابن الحاجب ولد باسنار في الصميد وقرأ على الشاطبي وبعض القراءات وسمع الحديث عليه وأخذ الفقه عن أبي منصور الايباري وانتقل الى دمشق ودرس بجامعها في زاوية مالكية وأكب الفضلاء على الاخذ عنه ثم عاد الى مصر وتوفي بالاسكندرية وقبره خارج باب البحر بقربة الشيخ الصالح ابن أبي شامة

خطوات الأزهر

جاء السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر ففرس في نفوس أبنائها حكمته الخالدة « لا يجتمع الذل والاسلام في قلب واحد » وجدت هذه الكلمة في نفوس تلاميذ الشيخ مكاناً خصباً فنمت وترعرعت ، حتى أثمرت تلك النهضة الجديدة التي حمل لواءها بعده تلميذه الخالص الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده .

حمل الأستاذ الامام لواء النهضة منادياً بكلمته المشهورة الخالدة « الايمان الذي يجتمع معه أدنى خوف من المخلوقات ليس بإيمان . ومن كان عنده من الثقة بالله ما لا يخشى معه أحداً فهو المؤمن . وهذا الايمان هو الذي يضع رجل صاحبه في عتبة الجنة » .

وماذا يصنع ؟ وجه همته فيما وجه إلى إصلاح الأزهر ، فهو معقل الدين ، وحصن اللغة ، ومنه ينبغي أن تخرج المثل العليا للناس . أما أن يبقى على ما هو عليه فذاك مما يضر ولا ينفع نظر إلى الأزهر وقتئذٍ فوجده لا نظام له ، والطلبة مهملين ، والعلماء الذين هم قدوة الناس وأئمتهم ، أقرب إلى التأثر بالآوهام والانقياد إلى الوساوس من العامة وأمرع إلى مشايعتها منهم وعله ذلك فساد طرق التعليم والتربية في الأزهر .

كان الأزهر وقتئذٍ يرغب عن بعض العلوم ولا يرى في الاشتغال بها فائدة ، بل يحرمها . مثلاً كانوا يرغبون عن التاريخ ، فصرخ فيهم صرخة قائلاً : « إذا بقيتم على جهلكم بالتاريخ إلى هذا الحد فلا يمكنكم أن تعرفوا دينكم ولا نجاح لكم في دنياكم ، إن قراءة التاريخ واجب من الواجبات الدينية ، وركن من أركان اليقين فلا بد من تحصيله » .

رآهم يعرضون عن دراسة الأدب فقال لهم : « ترك الاشتغال بدقائق الفصاحة ، والبلاغة ، والبراعة موت للحياة العقلية » .

رآهم في شبه عزلة عن الأمة فقال : « من أكبر التقوى علو الهمة ، والسعي في مصلحة الأمة ، ونفع الناس » .

رأى أسلوب التعليم في الازهر إنما يعني أكثر ما يعني بالصناعية اللفظية، ويطبق ذلك حتى على القرآن الكريم فقال : « لا يمكن لهذه الأمة أن تقوم ما دامت هذه الكتب فيها — يعني كتب التعليم التي تدرس في الازهر وأمثالها — ولن تقوم إلا بالروح التي كانت في القرن الاول وهي القرآن، وكل ما عداه فهو حجاب قائم بينه وبين العمل والعلم .. ثم قال : إنما يصعب القرآن توهم أنه صعب . وكلما أدخل الانسان على نفسه الصعوبة صعب عليه . وكلما مكن نفسه من الفهم مكنه الله منه . إن لكلام الله أسلوباً خاصاً يعرفه أهله ومن امتزج بلحمه ودمه . وأما الذين لا يعرفون منه إلا مفردات الالفاظ وصور الجمل فأولئك عنها مبعدون . يجب على كل شخص له إيمان صحيح ، أن يعقل عقائده على الوجه الذي في كتاب الله وسنة رسوله » الى آخر ما قال .

هذا هو حال الازهر في القرن الماضي ، وكان رأي الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في اصلاح الازهر يوضحه هذه الكلمات التي سقناها له .
ولأجل أن نتصور رأ أكثر ما كان عليه الأزهر يومئذٍ ننشر له مقالا كتبه هو نفسه تحت عنوان « الجامع الازهر » ، ثم ننشر له بعد ذلك بعض اقتراحات اقترحها لاصلاح دار العلوم ورأى أنها لازمة ليتمكن أن ينتهي أمرها الى أن تحل محل الازهر وعند ذلك يتم توحيد التربية في مصر .

قال : « الجامع الازهر مدرسة دينية عامة يأتي اليها الناس إما رغبة في تعليم علوم الدين رجاء ثواب الآخرة، وإما طمعاً في بعض الامتيازات لطلاب العلم فيه، ولا يزال بعضها إلى اليوم . ولكن مما يؤسف عليه أنه لا نظام لها في دروسها . ولا يسأل فيها التاميد أيام الطلب عن شيء من أعماله . ولا يبالي أستاذه حضر عنده في الدرس أم غاب ، فهم أم لم يفهم . صلحت أخلاقه أم فسدت . ويمر عليه الزمان الطويل ، لا يسمع فيه نصيحة من أستاذه تعود عليه بالاصلاح في دنياه أو دينه، وإنما يسمع منها ما يملأ القلب بغضاً لكل من

لم يكن على شاكلته في الاعتقاد حتى من بني ملته ، ويطبق على الذهن غفلته ، ويستفزه الطيش لتصديق كل ما يسمع ، إذا كان موافقاً لمبدأ التعصب الجاهلي ، فأغلب الاوقات تمر على أهل الجد منهم في فهم مباحث لبعض المتأخرين لا فائدة فيها ، ولا يتعلمون من الدين إلا بعض المسائل الفقهية . وطرفاً من العقائد على نهج يبعده عن حقيقته أكثر مما يقرب منها . وجلّ معلوماتهم تلك الزوائد التي عرضت على الدين . ويخشى ضررها ولا يرجى نفعها . ثم ان المعروفين بالعلماء وهم الذين يتممون دروسهم في هذه المدرسة ، ويؤذن لهم بالتدريس فيها ، هم قدوة الناس وأئمتهم ، مع أنهم أقرب الى التأثير بالأوهام ، والانقياد إلى الوساوس من العامة ، وأسرع الى مشايعتها منهم . وذلك بما ينشأون عليه من التعليم الرديء والتربية المختلفة التي لا ترجع إلى أصل صحيح فبقاؤهم فيما هم عليه اليوم مما يؤخر الرعية عن تقدير السلطة الصالحة قدرها .

إصلاح الأزهر لا بد أن يكون بالتدريج في تغيير نظام الدرس وجعلها في الابتداء تحت قواعد ساذجة قريبة من الحال الحاضرة فيها ، بحيث يقرر فيها أن كل من أدرج اسمه في جدول الطلبة يلزم بالحضور في الدروس وإلا حرم الامتياز ، وكل أستاذ يسأل عن طلبته ثم يجعل ما يناولونه من المنافع الطفيفة منوطاً بانهم لا بالسكتب ، وتغيير بروجرام الدروس ويزاد عليه أصناف من الكتب بحيث يدخل فيه تدريس الآداب الدينية المفقودة الآن بالكمية ، ويكلف الاستاذ بتعهد أخلاق تلاميذه ، لتكون منطبقة على تلك الآداب بقدر الامكان ، ويجعل شيخ الجامع رقيباً على الأساتذة والتلامذة في ذلك ، ثم يعدل نظام الامتحان النهائي وشروطه . وكل ذلك يكون على طرق بسيطة لا توجه الأذهان إلى شيء خلاف المصلحة وتفصيلها يكون في لائحة مخصوصة وقد يظن بعض من لم يتفكر في حال البلاد ومرتبها الأدبية والدينية أن إصلاح الأزهر لا يمكن ، لأنه يترتب على مجرد الشروع فيه تشويش أذهان العلماء ، والعامة على إثرهم ، فهذا ظن فاسد لا يؤيده دليل ، ولم تقض به تجربة ، إلا ما كان من بعض الرؤساء من مدة عشرين سنة ، عندما أراد ادخال بعض العلوم الصناعية فيه ، فقاومه بعض من كان موجوداً من العلماء فيئس من الاصلاح وترك الأمر الى اليوم ، فقد كان ذلك قبل أن تتقلب الحوادث على مصر ، ولم يكن بالتدريج اللائق ، أما الآن فقد تغيرت

الأحوال وأصبح الإصلاح فيه أهون منه في جميع المصالح . انتهى المقال
وها هي ذي بعض الاقتراحات أنشرها وهي من غير شك تلقي ضوءاً امام المفكرين
في أمر التعليم . ولما كانت هذه الاقتراحات خاصة بدار العلوم كما قلنا حذف منها ما يشير إلى
المدرسة وليس في ذكره هنا فائدة مادمنا بصدد الكلام على الأزهر .

- ١ - زيادة بعض علوم منها علوم الآداب الدينية ، وفن أصول النظام مع تعلقه بالدين .
- ٢ - تغيير طريقة تدريس تفسير القرآن وتعلم الأحاديث النبوية .
- ٣ - اختيار معلمين صالحين للقيام بالعمل الموصل الى الغاية المطلوبة .
- ٤ - وهو أهم ما يجب ، أن يكون تحت نظام شديد في التهذيب وملازمة العمل
بما يعلمون .

- ٥ - أن تكون درجتهم في الوظائف على حسب أدبهم واقتدارهم على التأديب .
- ٦ - أن يكون للموظف سلطة تامة على تهذيب التلامذة ، وتربية نفوسهم وتقييم
أخلاقهم وطباعهم وأرقام وظيفة يكون رئيساً لمن دونه
- ٧ - أن يبقوا بلباسهم الذي هو لباس أهل الدين مهما ترقوا في الوظائف
ثم قال : يلزم لهذا المشروع كتب تؤلف جديداً ولوائح تنظم للعمل على مقتضاها وذلك
كله يمكن بعد العزم على الاجراء .

ذلك المقال يصور لنا إلى حد كبير حال الأزهر في القرن الماضي كما يصور حال الطلاب
ويصور ما كان عليه الاساتذة وكيف كان يطعن هؤلاء الاساتذة كل من لم يكن على شاكلهم
في الاعتقاد حتى من بني ملته ، ويصور رغبة المجدين من الطلاب عن هذا اللون من
التعليم وانصرافهم الى الاشتغال بمباحث لبعض المتأخرين لا فائدة فيها ، كما يصور مقدار
ما كان يدرس في الأزهر متعلقاً بالدين . ويصور جل معلومات الأزهرين في ذلك الوقت وأنها
كانت تلك الزوائد والأوشاب التي علفت بالدين وليست منه ، والتي يخشى ضررها ولا يرجى
نفعها . وأخيراً يبين حال أساتذة الأزهر وأنهم كانوا أقرب الى التسائر بالالوهام والانتقياد
الى الوسوس من العامة وأسرع الى مشايعتها منهم . ثم يرجع سبب كل هذا الى فساد طرق
التعليم والتربية المختلفة التي لا ترجع الى أصل صحيح . وفي النهاية ينادي بأن ترك الأزهر
على هذه الحال — التي كانت في القرن الماضي — مما يضر بالامة .

رأى هذه الحال الأستاذ الامام في الأزهر رؤية طالب مكث فيه السنين الطويلة وخبرها خبرة رجل مارس التعليم فيه، واحتك برجاله والقائمين على أمره فشغل أمر الأزهر به وأقضى جمود من فيه مضجعه، رأى ذلك غيوراً على الاسلام والمسلمين، مكتئباً لما وصلت اليه الدراسات الاسلامية في الأزهر، فأخذ يَحْتال لارضاء الزهريين ليتمكن من إدخال بعض العلوم فيه حتى يؤدي رسالته على الوجه الذي ينبغي أن يكون. نعم أخذ يَحْتال.

يقول أستاذنا الجليل معالي أحمد لطفي السيد باشا في كتابه المنتخبات (ج ٢ : ص ٥٢) كان استاذي الامام محمد عبده يَحْتال لارضاء الأزهر بأن يسمي علم الطبيعة « علم خواص الاشياء التي أودعها الله في الاجسام، كذلك كان، وكذلك صدر قانون مدرسة القضاء الشرعي » هذه صورة الأزهر في القرن الماضي صورها الأستاذ الامام نفسه وفيها نرى الجهد الذي بذله الأستاذ الامام في سبيل الاسلام والمسلمين بمحاولته إصلاح الأزهر.

بعد ذلك نعرض الادوار التي مرت بالأزهر حتى وصل الى ما هو عليه الآن من نمو بفضل البذرة التي بذرها السيد جمال الدين الافغاني، وتعهدها من بعده تلميذه الأستاذ الامام محمد عبده، ويقوم الآن على حراستها وانماؤها تلميذه المخلص الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق.

لما ولى الخديو عباس الثاني الحكم تقدم اليه الشيخ محمد عبده بخطة لاصلاح الأزهر فوفق الى استصدار قانون تمهيدي في رجب سنة ١٣١٢ هـ - ١٥ يناير سنة ١٨٩٥ م وتألف مجلس لادارة الأزهر من أكابر شيوخه الذين يمثلون المذاهب الأربعة. وعنى المجلس بحركة الاصلاح فجعل للشيوخ مرتبات، واستصدر قانوناً لكساوي التشريف، واهتم بمساكن الطلبة وعمل على توزيع الجراية، وحدد العطلات. وقصر أجلها وأدخل بعض العلوم الحديثة، وعنى بمكتبة الأزهر، وأنشأ مكنتات في المعاهد الملحقة به. وانتقل الأزهر بالقانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ الى مرحلة أخرى من النظام إذ زيدت فيه مواد الدراسة وبين اختصاص شيخ الجامع الأزهر. وأنشئ له مجلس تحت رئاسة شيخه يسمى « مجلس الأزهر الأعلى » ووضع فيه نظام هيئة كبار العلماء، وجعل لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخ، ولكل معهد من المعاهد مجلس ادارة.

استمر الأزهر خاضعاً لهذا القانون مع ما لحقه من التعديل الى أن صدر انقانون رقم

٣٣ لسنة ١٩٢٣ بإنشاء قسم التخصص . وفي ٢٤ جمادى الآخرة لسنة ١٣٤٩ هـ (١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٠) صدر مرسوم بقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية ، وبدىء العمل به من سنة ١٩٣١ وهو القانون الذي وضع أساسه الأستاذ الامام المراغي . وقد جعل هذا القانون التعليم في الأزهر أربع مراحل .

مراحل التعليم في الأزهر

والعلوم التي تدرس فيه

١ — ابتدائي : ومدته أربع سنوات ويدرس فيه من المواد ما يلي : —

الفقه . الأخلاق الدينية . التجويد . استذكار القرآن الكريم . التوحيد . السيرة النبوية . المطالعة . المحفوظات . الانشاء . النحو . الصرف . الاملاء . الخط . التاريخ . الجغرافية . الحساب . الهندسة العملية . مبادئ العلوم . تدبير الصحة . الرسم .

٢ — ثانوي : ومدته خمس سنوات ، ويدرس فيه من المواد ما يلي : —

الفقه . التفسير . الحديث . التوحيد . استذكار القرآن الكريم . النحو . الصرف . البلاغة (معاني . بيان . بديع) العروض والقافية . المطالعة المحفوظات . الانشاء . أدب اللغة . حساب . هندسة . جبر . طبيعة . كيمياء . تاريخ طبيعي . المنطق . التاريخ . الجغرافية الأخلاق . التربية الوطنية .

٣ — عالٍ : ومدته أربع سنوات ، وينقسم الى ثلاث كليات :

(أ) كلية اللغة العربية : ويدرس فيها من المواد ما يلي :

النحو . الوضع . الصرف . المنطق . علوم البلاغة . الآداب العربية وتاريخها . تاريخ العرب قبل الاسلام . تاريخ الامم الاسلامية . التفسير الحديث . الأصول . الانشاء . فقه اللغة .

(ب) كلية الشريعة : ويدرس فيها من المواد ما يلي :

التفسير . الحديث منكراً ورجلاً ومصطلحاً . أصول الفقه . تاريخ التشريع الاسلامي .

الفقه مع مقارنة المذاهب في المسائل الكلية حكمة التشريع ، آداب اللغة العربية . علوم .
البلاغة . المنطق .

(ج) كلية أصول الدين : ويدرس فيها من المواد ما يلي :
التوحيد مع إيراد الحجج ودفع الشبهة خصوصاً الذائع في العصر منها : المنطق .
والمناظرة . الفلسفة مع الرد على ما يكون منافياً للدين منها . الأخلاق . التفسير . الحديث
آداب اللغة العربية وتاريخها . تاريخ الإسلام . علم النفس . علوم البلاغة .

٤ — التخصص وهو على نوعين : تخصص في المهنة وتخصص في المادة . والغرض من
التخصص في المهنة إعداد علماء يقومون بمهمة الوعظ والارشاد أو الوظائف القضائية بالمحاكم
الشرعية والافتاء والمحاماة أو التدريس في المعاهد الدينية ومدارس الحكومة .
والغرض من التخصص في المادة إعداد علماء متفوقين في العلوم الأساسية لكل كلية من
الكليات الثلاث ويعين حاملو شهادة هذا القسم في وظائف التدريس بالكليات وبأقسام
التخصص .

وهناك علاوة على ذلك أقسام غير نظامية يسمح فيها بدخول الطلبة الذين لم تتوافر
فيهم شروط القبول بالأقسام النظامية ، وكذلك أفراد الجمهور للتوسع في دراسة اللغة العربية
والعلوم الدينية . ويطلق عليها اسم القسم العام وهو أشبه شيء بالجامعة الشعبية التي أنشئت
أخيراً ومركز هذا القسم الآن الجامع الأزهر نفسه وله فرع في طنطا .

الشهادات

والشهادات التي تعطى للناجحين في الامتحانات هي :

١ — الشهادة الابتدائية :

تمنح لمن أتموا دراسة القسم الابتدائي وتحول صاحبها الاندماج في القسم الثانوي .

٢ — الشهادة الثانوية :

تمنح لمن أتموا دراسة القسم الثانوي وتحول صاحبها الاندماج في الكليات .

٣ - الشهادة العالية :

تمنح لمن أتموا دراسة كلية من كليات القسم العالي . والحائزون لها يكونون أهلاً للوظائف الكتابية بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية والمحاكم الشرعية والمجالس الحسينية والاقواف والتدريس في المساجد ولوظائف الخطابة والامامة والمأذونية .

٤ - الشهادة العالمية :

تمنح لمن أتموا دراسة التخصص في مهنة التدريس أو القضاء الشرعي أو الوعظ والارشاد والحائزون لها من قسم التخصص في مهنة التدريس يكونون أهلاً للتدريس في المعاهد الدينية وفي مدارس الحكومة . والحائزون لها من قسم التخصص في القضاء يكونون أهلاً للوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية والافتاء والمحاماة أمام المحاكم الشرعية والمجالس الحسينية . والحائزون لها من قسم التخصص في الوعظ والارشاد يكونون أهلاً لوظائف الوعظ والارشاد .

٥ - شهادة العالمية مع لقب أستاذ :

تمنح لمن تخصص في مادة من المواد . والحائزون لها يكونون أهلاً للتدريس في الكليات وفي أقسام التخصص .

مجلس الأزهر الأعلى

وقضى القانون الجديد بتأليف هيئة تشريعية لها حق النظر في اللوائح والقوانين التي تلزم لسير الدراسة والادارة وغيرها في الأزهر والمعاهد الدينية وتسمى تلك الهيئة (مجلس الأزهر الأعلى) .

وهو مؤلف من : -

١ - شيخ الجامع الأزهر رئيساً

٢ - وكيل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية . وله رئاسة المجلس عند غياب شيخ

الجامع الأزهر

٣ - مدير الجامع الأزهر

٤ - مفتي الديار المصرية

٥ - مشايخ الكليات الثلاث

- ٦ - وكيل وزارة الحقانية
- ٧ - وكيل وزارة الأوقاف
- ٨ - وكيل وزارة المعارف العمومية
- ٩ - وكيل وزارة المالية
- ١٠ - اثنين من هيئة كبار العلماء ويعينان بأمر ملكي لمدة سنتين
- ١١ - اثنين ممن يكون في وجودهم بالمجلس مصلحة للتعليم في الأزهر والمعاهد الدينية ويعينان بمرسوم لمدة سنتين

المعاهد الدينية التابعة للأزهر

أطلق اسم الجامع الأزهر في القانون الجديد على كليات التعليم العالي وعلى أقسام التخصص. ويطلق اسم المعاهد الدينية على معاهد تعليم الدين الاسلامي التي يكون التعليم فيها بقصد تفقه الطلاب في دينهم وفي اللغة العربية واعدادهم لدخول الجامع الأزهر. والتعليم في هذه المعاهد ابتدائي. أو ابتدائي وثانوي. والمعاهد الدينية الآن هي :-

المعاهد الابتدائية والثانوية

- (١) معهد القاهرة (٢) معهد الاسكندرية (٣) معهد طنطا (٤) معهد الزقازيق
- (٥) معهد شبين الكوم (٦) معهد أسيوط (٧) معهد قنا .

المعاهد الابتدائية

- (٨) معهد دسوق (٩) معهد دمياط (١٠) صدرت الارادة السنية بمعهد في سوهاج. ولما يفتح بعد .

هذه صورة هذا الصرح الذي وضع أسامه الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده وجاء على هذه الصورة بفضل الأسرة العلوية . وبخاصة المغفور له الملك فؤاد الأول ، وإذا كان الملك فؤاد قد عني بالأزهر هذه العناية فان شبله جلالة ملكنا المحبوب فاروق الاول يحبوه بمظف كبير . ويخصه بعناية فائقة .

تراجم

عن رؤساء الأزهر وشيوخه

أصدر الكلام على رؤساء الأزهر وشيوخه بكلمة عن فضيلة شيخه الحالي حضرة صاحب
الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ مصطفى عبد الرازق

الشيخ مصطفى عبد الرازق

لو أن الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق أعطى في الأصل أن يختار نفسه
بنفسه لما تمنى أكثر مما من الله عليه به ، فهو أصيل الجدود ، عريق النسب ، من أسرة
مشهورة بالعلم والفضل ، فوق ما حباها الله به من نعمة الثراء ، وليس بعد ذلك من زيادة
لمستزيد . وفضيلته رجل والرجال قليل ، خصه الله بصفات واضحة فيه وضوح الشمس ، فهو
متواضع أشد التواضع ، ندي الكف في غير إعلان عن نفسه ، حتى لا تعلم شماله ما قدمت
يمينه ، مؤمن قوي الإيمان ، يعقل عقائده على الوجه الذي في كتاب الله وسنة رسوله ، حيي
يمنعه حياؤه عما لا يليق بالرجل الكامل ، مخلص يبذل من نفسه في سبيل عمله ، عالم غزير
المادة ، نقد شعاع العلم إلى قلبه ، فنوره بنوره ، جمع بين الثقافتين الشرقية والغربية فكان عالماً
تعلم من الكتب والأساتذة ، وتعلم من سياحاته في أوروبا وتجاربه الشخصية في البيئات
المختلفة ، وهذه هي أعظم مراتب العلم . شب فضيلة الأستاذ من حدائمه يشعر بما لم يشعر به
الكبار من قومه ، وليس أدل على ذلك من شهادة الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده نفسه في
خطاب له أرسله إليه قال :

﴿ دعاء بحجاب وفسانة تخفى ﴾

ولنا الأديب : خير الكلام ما وافق حلاً ، وحوى من النفس منالاً ، تلك
أبياتك العشرة رأيتني والحمد لله مقرباً في سبعة منها كأنها الكواكب تسكنها
الملائكة ، وما بقي كأنه الشهب نور للأحياء ، رجوم للأشقياء ، ما سررت بشيء
سروري بأنك شعرت من عام حدائتك بما لم يشعر به الكبار من قومك ، فله أنت
ولله أبوك ، ولو أذن لوالد أن يقابل وجه ولده بالمدح لسقت إليك من الثناء ما يملأ

عليك القضاء ، ولكني أكتفي بالاخلاص في الدماء أن يمتعني الله من نهايتك بما
تفرسته في بدايتك ، وأن يخلص للحق شرك ، ويقدرك على الهداية اليه وينشط
بنفسك لجمع قومك عليه والسلام

آمنت بالله : دماء يحجب وفراسة تتحقق ، فالعبي ياروح الأستاذ الامام وتمتعي بأثر
إخلاصك في الدماء ، فمن ابتهلت الى الله من أجله هو امام المسلمين اليوم .
وأ أسرة آل عبد الرازق تعرف حتى الساعة في صعيد مصر بأسرة القضاء ، ذلك أن مؤسسها
كان قاضي خط البهنسا . وهذه الأسرة أثر كبير في العلم والأدب في تاريخ مصر الحديث
فليس من رجالات مصر وعلمائها من يجهل سراي آل عبد الرازق التي كانت بجوار قصر
عابدين أمام باب باريس . كانت هذه الدار ملتقى أهل العلم والفضل والأدب تضيئهم كل
ليلة بنور العلم والتقى .

وليس في مصر من ذوي الرأي والحجى من لم يأنس بها وصبا الى ناديا . وعرف لها
في كل نواحي الخير فضلاً مشكوراً . وهل في مصر أو الشرق من لم يعرف حسن باشا
عبد الرازق الكبير — لقب بهذا اللقب للتمييز بينه وبين ابنه حسن باشا عبد الرازق
الصغير شقيق فضيلة الأستاذ الأكبر — كان رضوان الله عليه عالماً من أفاضل علماء الأزهر
ونبهاً لهم ، وكان فقيهاً أديباً نظم الشعر ولكن لم ينشره كمادة بعض العلماء وقتئذٍ ، وظهر علمه
بإلفقه في مجلس شورى القوانين فلقد أعانه فقهه على فهم القوانين ودقة النظر في انتقادها
حتى كان من رجالات المجلس يشار اليه بالبنان .

وجه حسن باشا أبناءه توجيهاً حسناً يشهد له بالعلم ، والفضل ، فوجه حسناً وحسيناً الى
مدرسة الحقوق .

فكان الأول محامياً أهلياً ومدرساً بمدرسة البوليس ، وألزم الثاني بعد أن قبل
محامياً في المحكمة المختلطة بأن يكون عمدة في بلده « أبو جرج » ووجه « محمود باشا »
الى الادارة و ابراهيم واسماعيل الى مدرسة الزراعة . ووجه أستاذنا الأكبر والشيخ المحترم
علي بك عبد الرازق الى التعليم الديني . حفظ الأستاذ الأكبر القرآن الكريم وتعلم التعليم

الأولي في إحدى المكاتب، ثم التحق بالأزهر، وتلمذ للأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فكان طالباً مجداً نجيباً. وأخذ فضيلته شهادة العالمية سنة ١٩٠٩ فكان أول فرقة ترتيباً وأصغر زملائه سنّاً، وسافر الى فرنسا فالتحق « بالسوربون » في باريس لدراسة الفلسفة وعنى من فروعها بالأخلاق وعلم الاجتماع. ثم استدعاه الأستاذ « لمبرت » Lambert الذي كان من قبل ناظراً لمدرسة الحقوق المصرية الى ليون ليساعده في درس القانون المقارن، وعهد اليه بتدريس الشريعة الاسلامية في كلية ليون كما عهد اليه أيضاً بتدريس اللغة العربية في ليون نفسها وعمل في فرنسا رسالة عن الامام الشافعي بالفرنسية بالاشتراك مع أحد المستشرقين، وله أيضاً بالفرنسية دراسة عن الوحي وأخرى عن الاسلام. وله عدة محاضرات ألقاها فضيلته في جامعة بيروت عن الدين. وهذه الأبحاث « الدين والوحي والاسلام » نشرتها الجمعية الفلسفية المصرية في مؤلف خاص في سنة ١٩٤٥. ولفضيلته أيضاً كتاب عن فيلسوف العرب والمعلم الثاني نشرته الجمعية.

وله دراسات عن البها زهير. والتمهيد في تاريخ الفلسفة. وكتاب عن الشافعي نشر في مجموعة أعلام الاسلام. وكتاب عن الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده. ولفضيلته زيادة على ذلك مؤلفات لم تنشر في المنطق، والتصوف، والأدب العربي.

ولما عاد من فرنسا اشتغل سكرتيراً عاماً للأزهر والمعاهد الدينية، ثم نقل الى وزارة الحقانية منتشراً للبحاكم الشرعية. ثم عين سنة ١٩٢٧ أستاذاً للفلسفة الاسلامية والمنطق بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، وفي سنة ١٩٣٨ أختير وزيراً للأوقاف في وزارة رفعة محمد باشا محمود، ولم يقطع صلته بالجامعة في البحث والدرس طيلة السنين التي تولى فيها الوزارة بل كان يلقي المحاضرات ويشترك في مناقشة الرسائل.

وتقلد الوزارة غير مرة تقلدها مرتين في وزارة رفعة محمد محمود باشا، ومرة في وزارة حسن صبري باشا، وحسين سري باشا، واحمد ماهر باشا، والنقراشي باشا الى أن عين شيخاً للأزهر في ديسمبر سنة ١٩٤٥

ولما صدر الأمر الملكي بتعيينه شيخاً للأزهر طلب من مولانا جلالة الملك فاروق الأول إعفائه من لقب « باشا » فتفضل بإعفائه.

هذا هو فضيلة الأستاذ الامام الشيخ مصطفى عبد الرازق في تاريخه الأبيض الناصع سدّد الله خطاه ومدّ في عمره الغالي ليسير بسفينة الأزهر بما عهد فيه من إخلاص ونبيل حتى يؤدى الأزهر رسالته على الوجه الأكمل ، ولفضيلته من عطف حضرة صاحب الجلالة ملكنا المحبوب فاروق الأول ما يمكنه من توجيه الأزهر وجهة صالحة في هذا العصر الذري . وان « ٤٠٠ مليون مسلم » في جميع بقاع الارض أصبحت يا فضيلة الأستاذ إمامهم جميعاً ، وما يقرب من « ١٥ » ألف شاب من شباب الأزهر الكل قد عقدوا أملهم عليك يا فضيلة الأستاذ في تنقية الدين مما علق به من أوشاب ، وفي أن يساهم الأزهر بنصيب موفور في نشر العلم وخدمة الإنسانية والسلام . واني على ثقة وقد أخلص الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده في الدعاء اليك ومتع روحه الطاهرة بفراسته فيك في بدايتك ، على ثقة من أنك ستجمع قومك على الهداية للحق بفضل إخلاصك اليه .

* * *

كان الأزهر في أول عهده يتولى شئونه رجل يسمى مشرفاً ومعه أربعة قومة . وفي عهد المماليك كان يتولى أمره رجل من كبار الموظفين يسمى ناظراً منهم : الأمير ، الطواشي بهادر المتقدم على المماليك السلطانية ولي نظره في سنة ٧٨٤ هـ . وهو الذي نجح مرسوم السلطان الملك الظاهر برقوق الخاص بجعل أبناء الأزهر أسرة واحدة يرث بعضهم بعضاً إذا مات أحدهم ولم يكن له وارث شرعي .

ومنهم الأمير سودوب القاضي حاجب الحجاب ولي نظره سنة ٨١٨ هـ . وهو الذي طرق الجامع بعد العشاء في ليلة صيف . وكانت العادة قد جرت بمبيت كثير من الناس فيه ما بين تاجر وفقير وجندي وغيرهم ، منهم من يقصد بمبئته البركة ، ومنهم من لا يجد مكاناً يأويه ، ومنهم من يستروح بمبئته هناك خصوصاً في ليالي الصيف وليالي شهر رمضان حتى يمتلئ صحنه وأكثر رواقاته ، فقبض على جماعة منهم وضربهم . وكان قد جاء معه من الأعوان والعلماء وغوغاء العامة ومن يريد النهب جماعة خلّ بمن كان فيه أنواع البلاء ووقع فيهم النهب ، فأخذت فرشهم وعمائمهم ، وفشت أوساطهم ، وصلبوا ما كان مربوطاً عليها من ذهب وفضة . فعل هذا لما بلغه أن أناساً يبيتون به لأغراض غير شريفة (١)

(١) خطط المقرئ ج ٤ ص ٥٤ وما بعدها

استمر النظام على هذه الحال في الأزهر يتولى شئونه ناظر ينتخب من كبار الموظفين . ولم يكن له رئيس علي من أبنائه إلا في العهد التركي ابتداءً من عام ١١٠٠ هـ . ويسمى شيخ الأزهر وم : —

شيوخ الأزهر

- ١ — الشيخ محمد عبد الله الخرشبي المالكي . توفي سنة ١١٠١ هـ . نسبة الى بلدة يقال لها أبو خراش من البحيرة . وكان كريم النفس ، ورعاً ، زاهداً ، وله شرح على متن خليل .
- ٢ — الشيخ محمد النشري ، مالكي ، توفي سنة ١١٢٠ هـ وبعد موت الشيخ النشري هذا وقعت فتنة بالأزهر بسبب المشيخة والتدريس بالاقبغاوية ، افترق فيها الطلبة فرقتين : فرقة تريد الشيخ أحمد النفراوي . وأخرى تريد الشيخ عبد الباقي القليني ، ولم يكن حاضراً بمصر . فتصدر الشيخ النفراوي للتدريس بالاقبغاوية فمنعه القاطنون بها ، وحضر القليني فتمصب له جماعة النشري . وحضر أنصار النفراوي الى الجامع ليلاً مسلحين وأخرجوا جماعة القليني ، وكسروا باب الاقبغاوية وأجلسوا النفراوي مكان النشري ، فكبس جماعة القليني الجامع وقتلوا أبوابه وتضاربوا مع جماعة النفراوي فقتلوا منهم نحو العشرة وانفصلوا عن جرحى ، وانتهت الخوازن وتكسرت القناديل وانتهت هذه الحادثة بأن أمر الوالي بأن يلزم الشيخ النفراوي بيته ، ونفي الشيخ شين الى بلده واستقر القليني في المشيخة .
- ٣ — الشيخ عبد الباقي القليني . مالكي . توفي سنة ١١٢٣ هـ
- ٤ — الشيخ محمد شين . مالكي توفي سنة ١١٣٣ هـ وكان الشيخ شين هذا أغنى أهل زمانه بين أقرانه
- ٥ — الشيخ إبراهيم موسى الفيومي . مالكي توفي سنة ١١٣٧ هـ وله شرح على العزية في الفقه في مجلدين .

وبعد الشيخ الفيومي انتقلت المشيخة الى الشافعية فتولاها .

- ٦ — الشيخ عبد الله الشبراوي . شافعي « توفي سنة ١١٧١ هـ » وكان محدثاً عالماً في أصول الفقه . متكافئاً شاعراً أديباً . وكان طلبته العلم في أيامه في غاية الادب والاحترام

وصار لأهل العلم في مدته رفعة ومقام ومهابة عند الخاص والعام ، ولم يزل يلمي ، ويدرس ، ويفيد حتى صار إماماً عظيماً . وكان مقبول الشفاعة ، وهاداه الأمراء ، وعمر داراً عظيمة على بركة الازبكية ، بالقرب من الرويعي . ومن آثاره « شرح الصدر في ذروة بدر » و « مفاتيح اللطاف في مدائح الاشراف » .

وهو ديوان يحتوي على غزليات وأشعار ومقاطيع وقد ذهب الجبرتي وغيره الى أن مفاتيح اللطاف هذا كتاب غير الديوان وليس كذلك فإنه يقول نفسه في مقدمة الديوان « ومحميته مفاتيح اللطاف » وهو القائل ^(١) لهذه القصيدة العذبة التي تسيل عذوبة ورقة المشهورة على ألسنة بعض المعنين :

بحقك أنت المنى والطلب	وأنت المراد وأنت الأرب
ولي فيك يا هاجري صبوة	تجئ في وصفها كل صب
أبيت أسامر نجم السما	إذا لاح لي في الدجى أو غرب
وأعرض عن عاذلي في هواك	إذا نم يا منيتي أو عتب
أمولاي بالله رفقا بمن	إليك بذل الغرام انتسب
فاني حسبيك من ذا الجفا	ويا سيدي أنت أهل الحسب
ويا هاجري بعد ذاك الرضا	بحقك قل لي لهذا سبب
فاني محب كما قد عهدت	ولكن حبك شيء عجب
متى يا جميل الهيبا أرى	رضاك ويذهب هذا الغضب
أشاع العذول بأنني سلوت	وحقك يا سيدي قد كذب
ومثلك ما ينبغي أن يصد	ويهرج صببا له قد أحب
أشاهد فيك الجمال البديع	فيأخذني عند ذاك الطرب
ويعجبني منك حسن القوام	ولين الكلام وفرط الأدب
وحسبك أنك أنت المليح الكريم	الجدود العريق النسب
أما والذي زان منك الجبين	وأودع في اللحظ بنت العنب
وأنت في الخد روض الجمال	ولكن سقاء بماء الذهب
لئن جدت أو جرت أنت المراد	وما لي سواك مليح يحب

(١) « ديوان الشبراوي » ص ٨ ، ٩

٧ - الشيخ محمد بن سالم الحفني الخلوئي شافعي توفي سنة ١١٨١ هـ كان عابداً

٨ - الشيخ عبدالرؤوف السجيني نسبة الى سجين قرية من مديرية الغربية توفي سنة

١١٨٢ هـ

٩ - الشيخ احمد بن عبد المنعم الدمهوري نسبة الى دمنهور توفي سنة ١١٩٠ هـ

١٠ - الشيخ احمد العروسي شافعي « « ١٢٠٨ هـ

كان قد حصل خلاف شديد بين العروسي والعريشي . واضطرابات بين الطلاب .

يروى أن الشافعية اجتمعوا وعلى رأسهم الشيخ العروسي والشيخ السمنودي والشيخ حسن الكفراوي بعد تولية الشيخ العريشي وكتبوا عريضة للأمرأء مضمونها أن تكون المشيخة لشافعي واتفقوا على تعيين الشيخ العروسي . ولما لم يقبل هذا الطالب ركبوا بأجمعهم ومعهم الشيخ الجوهري الى الامام الشافعي وباتوا بالجامع ليلة الجمعة وأخيراً طلبوا من مراد بك طلبات قائلين له ان البلد بلد الامام الشافعي وقد ذهبنا اليه وهو يأمرك بتنفيذ هذه الطلبات فان خالفت يخشى عليك^(١) فأحضروا فروة وألبسوها للعروسي فأصبح شيخاً للازهر . وهو من منية عروس قرية من مركز اشمون جريس

١١ - الشيخ عبد الله الشراقي شافعي توفي عام ١٢٣٧ هـ

وكان عهده من أكثر العهود اضطراباً وفيه كانت الحملة الفرنسية ويعتبر من أعظم الشيوخ الذين أخذوا هذا المنصب ، وهو من الطويلة قرية صغيرة جهة العرين من مديرية الشرقية ، وبعده انقسم الشيوخ ، فبعضهم اختار الشيخ المهدي الكبير وكان شيخاً بالاسم لأنه لم يصدق على مشيخته وسرعان ما خلفه

١٢ - الشيخ محمد الشنواني من شنوان قرية بالمنوفية: كان شافعي المذهب وكان درسه بالجامع المعروف بالنفكاهي بجوار سكناه بمخشة دم ، وكان مهذب النفس مع التواضع والانكسار والبشاشة لكل أحد من الناس . وكان يشمر ثيابه ويخدم نفسه ويكنس الجامع ويسرج القناديل . ولما اختاروه للشيخة هرب الى مصر العتيقة فأحضره قهراً عنه وقلدوه

(١) هذه الطلبات كانت عبارة عن فروة للشيخ العروسي ويكون شيخاً على الشافعية ويكون العريشي شيخاً على الحنفية والشيخ الدردير شيخاً للمالكية « الخطط الجديدة للي مبارك باشا ص ٣٢ ج ٤ »

المشيخة ولم يترك ملازمة الجامع النفاك هاني كعادته ، وأقبلت عليه الدنيا فلم يحفل بها .
وكان يتعلل بالمرض أشهراً ثم انقطع في داره الى أن توفي رحمة الله عليه وصلي عليه
في الجامع الأزهر في مشهد رهيب ، ودفن بتربة المجاورين . وكان يحيد حفظ القرآن ويقرأ مع
فقهائه « الجوقه » في الليالي ، وله حاشية مشهورة على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهرية

١٣ — الشيخ احمد العروسي توفي عام ١٢٤٥ هـ

١٤ — الشيخ احمد بن علي الدهوجي توفي عام ١٢٤٦ هـ نسبة الى دمهوج قرية قرب بنها

١٥ — الشيخ حسن بن محمد العطار توفي عام ١٢٥٠ هـ

كان أبوه فقيراً عطاراً له إلمام بالعلم وكان يستخدم ابنه هذا في صغار شئون الدكان ويعلمه
البيع والشراء فاختلّف الى الجامع الأزهر خفية عن أبيه حتى قرأ القرآن وجدّ في التحصيل
على كبار المشايخ كالشيخ الصبان والشيخ الأمير . ولما دخل الفرنسيون مصر فرّ الى الصعيد
كجاعة من العلماء . ولما رجع اتصل بهم فكان يستفيد منهم ويفيدهم اللغة العربية وكان
يقول : ان بلادنا لا بدّ أن تتغير أحوالها ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها ويتعجب
مما وصلت اليه تلك الأمة من المعارف والعلوم وكثرة كتبهم وتحريرها وتقريبها لطرق
الاستفادة ثم ارتحل الى الشام وكان يقول الشعر دون اهتمام به كما هو عادة كثير من العلماء .
ومن شعره :

اني لا أكره في الزمان ثلاثة ما إن لها في عدّها من زائد

قرب البخيل وجاهلاً متفاضلاً لا يستحي وتودداً من حاسد

ومن البلية والززية أن ترى هذي الثلاثة جمّعت في واحد

وارتحل الى بلاد الروم وأقام بها مدة وتأهل بها ثم عاد الى مصر وعقد مجلساً لقراءة
تفسير البيضاوي كان يحضره أكابر المشايخ .

وكان عزيز مصر المغفور له محمد علي باشا يحله ويعظمه ويعرف فضله وله تأليف عديدة منها :

١ — حاشية على جمع الجوامع نحو مجلدين .

٢ — حاشية على الأزهرية في النحو .

٣ — حاشية على مقولات السجاعي .

٤ — حاشية على السمرقندية .

وله رسائل في الطب ، والتشريح ، والرمل ، والزائجة وكان يرسم بيده المزاويل النهارية والليلية .

١٦ — الشيخ حسن القويسني نسبة الى قويسنا توفي سنة ١٢٥٤ هـ
كان مع انكفاف بصره مهيباً جداً عند الأمراء وغيرهم .

١٧ — الشيخ احمد الصائم السفطي نسبة الى صفط العرفاء قرية جهة الفشن بمديرية المنيا
توفي سنة ١٢٦٣ هـ

١٨ — الشيخ ابراهيم الباجوري من الباجور بمديرية المنوفية توفي سنة ١٢٧٧ هـ
كان قوياً في علمه ضعيفاً في ادارته . وكان المرحوم عباس باشا الأول يزوره في درسه
وبعد موته بقى الأزهر مدة بلا شيخ بل بمجلس مؤلف من أربعة وكلاء تحت رئاسة الشيخ
مصطفى العروسي . وم : الشيخ العدوي المالكي ، والشيخ الحلبي الحنفي ، والشيخ خليفة القاشني ،
والشيخ مصطفى الصاوي الشافعيان . وكان هذا المجلس قد ألف لمباشرة أمور الأزهر بعد أن
ضعف الشيخ الباجوري وكثرت حوادث الأزهر ولما كانت سنة ١٢٨١ هـ تقلد المشيخة

١٩ — الشيخ مصطفى العروسي كأبيه وجده الى عام ١٢٨٧ هـ . ولقد أبطل الشيخ
العروسي كثيراً من البدع كالشحاذة بالقرآن وعزم على ادخال الامتحانات بالأزهر ففاجأه
الزل عن المنصب فنفسها خلفه .

٢٠ — الشيخ محمد العباسي المهدي الحنفي . وهذا أول انتقالها للحنفية فسار فيها سيراً
حسناً ودان له الخاص والعام من أهل الأزهر وقلت على يده الشرور فيه وكثرت في عهده
المرتبات . وكان الخديوي اسماعيل يؤيده تأييداً قوياً وتقهر وقتاً ما أمام الشيخ الامبابي
في فتنة سنة ١٢٩٩ هـ ولكن سرعان ما عاد الى منصبه وظل فيها الى ٣ ربيع الأول سنة
١٣٠٤ هـ . خلفه .

٢١ — الشيخ محمد الامبابي وكان خصماً قوياً لكل تجديد . وفي عام ١٣١٣ هـ ترك
منصبه خلفه .

٢٢ — الشيخ حسونة النواوي الحنفي المتوفي سنة ١٩٢٥ ثم خلفه

٢٣ — الشيخ عبد الرحمن النواوي الحنفي في عام ١٣١٧ هـ فتوفي بعد وقت قصير خلفه

٢٤ — الشيخ سليم البشري المالكي وفي عام ١٣٢٣ هـ خلفه

٢٥ — الشيخ عبد الرحمن الثرينيني ، واستقال سنة ١٣٢٧ هـ فعاد الى المشيخة

- ٢٦ — الشيخ حسونة النواوي للمرة الثانية ، واستقال في السنة نفسها فتولاها مرة ثانية
 ٢٧ — الشيخ سليم البشري ، ولما توفي سنة ١٣٣٥ هـ تولاها
 ٢٨ — الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي الى سنة ١٣٤٦ هـ ، ثم خلفه
 ٢٩ — الشيخ محمد مصطفى المراغي ، الى أن استقال في سنة ١٣٤٨ هـ ، فالشيخ
 ٣٠ — محمد الاحمد الطواهي . « توفي في ١٣ مايو سنة ١٩٤٤ » وعاد اليها
 ٣١ — الشيخ محمد مصطفى المراغي للمرة الثانية
 نلاحظ أن الحنبلة لم يتعين أحد منهم شيخاً للأزهر في تاريخه . وذلك راجع لقلتهم وأن
 النزاع قام على أشده غير مرة بسببها .

الشيخ محمد مصطفى المراغي

ولد الشيخ محمد مصطفى المراغي في اليوم التاسع من شهر مارس سنة ١٨٨١ في المراغة
 من أعمال مديرية جرجا بمصر العليا وحفظ القرآن الكريم بمكتب القرية وتلقى على أبيه
 بعض العلوم ثم التحق بالأزهر ، واتصل بالأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فتقف نفسه عليه في
 دروس التفسير التي كان يلقيها بالرواق العباسي ، وأخذ العالمية من الدرجة الثانية في سنة
 ١٩٠٤ وفي اغسطس من هذه السنة جلس للتدريس بالأزهر ولم يطل به الدرس بل عين
 في نوفمبر من السنة نفسها قاضياً لمديرية دنقلا بمحكومة السودان ، ثم قاضياً لمدينة الخرطوم .
 وفي سنة ١٩٠٧ استقال عائداً الى مصر لخلاف بينه وبين أولي الأمر فيها ، فعين مفتشاً
 للدروس الدينية بديوان عموم الأوقاف ، وفي الوقت نفسه عاد للتدريس في الجامع الأزهر .
 وفي سنة ١٩٠٨ عاد الى السودان قاضياً لقضايتها بأمر صدر من خديوي مصر . وفي سنة ١٩١٩
 عين رئيساً للتفتيش بالمحاكم الشرعية ، ثم رئيساً لمحكمة مصر الكلية ، ثم عضواً في المحكمة العليا ،
 ثم رئيساً لها في ١١ من ديسمبر ١٩٢٣ وهو الذي وضع أساس القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠
 ووصل الثقافة الاسلامية بالثقافات الغربية بوساطة بعوث أرسلها من أبناء الأزهر الى بعض
 جامعات أوروبا . وأبرز ميزة كانت في الأستاذ المراغي عليه رحمة الله هي اعتزازه بكرامته
 وكان مهابة محترماً في جميع الأوساط . وأصدق وصف له سمعته من حضرة صاحب المعالي أستاذنا
 الجليل أحمد لطفي السيد باشا يوم شيعنا جنازة الشيخ قال : كان نابه رحمة الله منسجماً في كل
 شيء « عقله يوازي علمه حتى جسمه وهندامه » .

طلبة الأزهر

ابتدأ الأزهر حياته العلمية في عهد العزيز بالله ابن المعز لدين الله ب ٣٥ طالباً، ويقدم لنا المقريري إحصاءً يرينا أنهم بلغوا في عهد ناظره الأمير سودوب سنة ٨١٨ هـ (٧٥٠) طالباً ما بين مصريين وعجم وزیالعة . ويقدم لنا علي مبارك باشا إحصاءً عن عدد الطلبة والمدرسين في سنة ١٢٩٣ هـ . بيانه كالآتي : —

٢٣٥ شيخاً ، منهم ١٤٧ شافعيًا ، و ١٩ مالكيًا ، و ٧٦ حنفيًا و ٣ حنابلة .
و ١٠٧٨٠ طالباً ، منهم ٣٦٥١ شافعيًا ، و ٣٨٢٦ مالكيًا ، و ١٢٧٨ حنفيًا ، و ٢٥٥ حنبليًا .
وتقدم لنا دائرة المعارف الاسلامية إحصاء عن سنة ١٩٠١ ، ١٩٠٦ كالآتي : —

سنة	شيوخ	طلبة
١٩٠١	٢٥١	١٠٤٠٣
١٩٠٦	٣١٢	٩٠٦٩

ويبلغ عدد الطلبة الآن في سنة ١٩٤٥ — سنة ١٩٤٦ (١٤٧١٤) بياضهم كالآتي : —
كلية اللغة العربية ١١٦٢ : في القسم العالي ٦٠١ ، وفي إجازة التدريس ٥٣٢ ، وفي تخصص
المادة ٤٠

كلية الشريعة ٨٧٣ : في القسم العالي ٧١١ ، وفي إجازة القضاء الشرعي ١٢٢ ، وفي تخصص
المادة ٤٠

كلية أصول الدين ٥٣٨ : في القسم العالي ٤٢٥ ، وفي إجازة الوعظ ٦٧ ، وفي تخصص المادة ٤٦
طلبة المعاهد الدينية الملحقة بالأزهر ١٠٤٠٧ بياضهم كالآتي :
٢٤٨٣ القاهرة ، ١٨٥٧ الزقازيق ، ١٨٥١ طنطا ، ١٢٤٦ نواحي الأول بأسبوط ، ٨٥٩
شبين الكوم ، ٧٩٦ اسكندرية ، ٥٢٠ قنا ، ٤١٤ دسوق ، ٤٠٨ دمياط
منهم في الابتدائي ٥٧٢٩ ، والثانوي ٤٦٧٨

٨١٤ عدد طلبة الأقطار الشقيقة وغيرهم من مختلف البلدان الأخرى وأكثرهم في الكليات
الثلاث وفي معهد القاهرة وفي القسم العام
٨٨٥ الطلبة المصريون في القسم العام بالقاهرة
٣٥ عدد طلبة القسم العام في معهد طنطا

١٤٧١٤ الجملة — ولو قسمنا ميزانية الأزهر على عدد الطلاب لكانت النتيجة أن كل
طالب يتكاف مبلغ ٤٧٢ ج تقريباً

خريجو الأزهر في سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦

عدد	
٣٨	طلمية من درجة أستاذ
٢٢٢	طلمية مع اجازة التدريس
١٠٦	طلمية مع اجازة القضاء الشرعي
٣٥	طلمية مع اجازة الدعوة والارشاد
٤٠١	الجملة

ميزانية الأزهر

أول مقدار مالي ثابت يمكن الابتداء منه في ميزانية الأزهر وقفية الحاكم بأمر الله التي وقفها في سنة ٤٠٠ هـ. عليه وعلى جامع المقس والجامع الحاكمي ودار العلم وكان صافي هذه الوقفية المشتركة يقسم على ستين سهماً للأزهر فيها - على حد تعبير الوقفية - الخمس والثلث ونصف السدس ونصف التسع .

وهذه الوقفية تعطينا فكرة عن حياة الأزهر في ذلك العصر . لذلك فنشرها :

دينار	
٨٤	للخطيب
١٠٨	ثمان ١٣٠٠٠ ذراع حصر مضمفودة لفرش هذا الجامع في كل سنة عند الحاجة وثلث ١٠٠٠ ذراع حصر عيدانية تكون عدة عند الحاجة
١٢ $\frac{٣}{٤}$	لما ينقطع من حصره
١٢ $\frac{٣}{٤}$	ثمان ثلاثة قناطير زجاج وفراخها
١٥	ثمان عود هندي للبخور في شهر رمضان وأيام الجمع مع ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع
٧	ثمان نصف قنطار شمع

دينار	
٥	لكنس الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وثمان الخيط وأجرة الخياطة
١	ثمان مشافة اسرج القناديل
$\frac{1}{4}$	ثمان خم للبخور عن قنطار واحد .
$\frac{1}{4}$	ثمان ملح للقناديل
$\frac{1}{4}$	ثمان صلب ليف وأربعة أحبل وست دلاء
$\frac{1}{4}$	ثمان خرق لمسح القناديل
$1\frac{1}{4}$	ثمان ١٠ قفاف للخدمة و١٠ أرطال قنب لتعليق القناديل وثمان ٢٠٠ مكنسة
	لكنس هذا الجامع .
٣	ثمان أزيار فخار مع أجرة حمل الماء .
$\frac{1}{4}$ ٣٧	ثمان زيت وقود هذا الجامع راتب السنة ١٢٠٠ رطل مع أجرة الحمل .
$\frac{1}{4}$ ٥٥٦	لأرزاق المصلين يعني الأئمة وهم ثلاثة . وأربعة قومة و١٥ مؤذناً
	منها لكل امام ديناران وثلاثا دينار وثمان دينار في كل شهر من شهور السنة . والمؤذنون والقومة لكل رجل منهم ديناران في كل شهر .
٢٤	للمشرف على هذا الجامع في كل سنة .
١	لكنس المصنع بهذا الجامع ونقل ما يخرج منه من الطين والوسخ .
٦٠	لمرمة ما يحتاج اليه هذا الجامع .
$8\frac{1}{4}$	ثمان ١٨٠٠ حمل تبين جارية لعلف رأسى بقر المصنع القدي لهذا الجامع .
٤	لتخزين يوضع فيه التبن بالقاهرة .
٧	ثمان فدانين قرط لرأسى البقر المذكورين في السنة .
$15\frac{1}{4}$	لأجرة متولي العلف وأجرة السقاء والجبال والقواديس وما يجري مجرى ذلك .
١١	لأجرة قيم الميضاة « ان عملت بهذا الجامع » .
٢٤	لمؤنة الناس والسلاسل والتنانير والقباب التي فوق سطح الجامع .

وفي عام ١٨٧٥ م بلغ الإيراد السنوي ٦١٤ ٥٦٤ ٢٧ غرشاً تركياً . وبلغ المنصرف ٤٢٨ ٠٨٤ ٣٩ غرشاً . وورد في تقرير رسمي أن جملة إيرادات عام ١٨٩٢ كان ٤٣٨٢ جنيهاً انجليزياً وأن الجارية اليومية كانت ١٠٠٠٠ رغيفاً .

وإيرادات عام ١٩٠١ - ١٩٠٢ م كان ١٤٠٠١ جنيهاً انجليزياً . بيانه كالاتي :
٦٦١١ جنيهاً قيمة الاعانة التي تدفعها وزارة المالية و ٥٧٥٧ جنيهاً من ديوان الأوقاف و ١٦٣٢ جنيهاً إيرادات الأروقة المختلفة .

وكانت الجارية التي تصرف يومياً ١٣٥١٠ رغيفاً وميزانيته لسنة ١٩٤٠ - ١٩٤١ م بلغت ٦٠٠ ٣٤٢ جنيهاً مفردة كالاتي :

جنيه	جنيه
٣٤٢ ٦٠٠	ايرادات
٢٦ ٢٠٦	أوقاف الأزهر والمعاهد
٢١ ٢٠٨	اعانة وزارة الأوقاف
٢٧٣ ٦٠٤	من المالية
٢١ ٤٩٢	ايرادات أخرى

وبلغت الميزانية في سنة ١٩٤٤ - ١٩٤٥ مبلغ ٦٩٥٧٨٠ جنيه مفردة كالاتي :-

٣٨٤٠٠٠	ماهيات ومرتبات
١٧١٦٧٣	مصرفات عمومية
٩١٠٠	أعمال جديدة
٦٠٠٧	نشر الثقافة الاسلامية في البلاد النائية والعناية بالبعثات الوافدة الى الأزهر
١٢٥٠٠٠	اعانة غلاء المعيشة

مكتبة الازهر

أنشئت سنة ١٨٩٧ وابتدأت بـ ٧٧٠٣ كتاباً منها ٦٦١٧ بطريق الاهداء و ١٠٨٦ بطريق الشراء وعدد فنونها يومئذ ٢٧ فناً وهي : المصاحف . القراءات . التفسير الحديث . الأصول . النحو . الصرف . البلاغة . الفقه على المذاهب الأربعة . الجامع . التوحيد . المنطق . التاريخ . التصوف . الأدب . المديح . الآداب والمواعظ والفضائل . الأحزاب والأوراد والأدعية . الوضع . آداب البحث . العروض . الفلك . الميقات . مصطلح الحديث . الفنون المنوعة . الحساب والهندسة . اللغة . الطب . وبلغت فنونها في سنة ١٩٤٣ - ٥٨ فناً وبلغ عدد مجلداتها ٩٠٠٧٥ مجلداً موزعة كالاتي :-

العدد	الفن	العدد	الفن	العدد	الفن
٢٣٠	اللغات التركية	٥٩٨٤	الأدب	٣٩٤٤	المصاحف
١٠٠	املاء وخط	١١٨٢	اللغة	١٠٠	علوم القرآن
١٣٤	صور ورسوم	١١٨٨	التصوف	١٣٧٧	القراءات
١٢٢	كيمياء وطبيعة	٥٠٨٦	التاريخ	٥٢٧٧	التفسير
١٩	التجارة	١٤٩٩	المنطق	٨٦٢٤	الحديث
٦٧	الهندسة	٣١٢٢	فنون متنوعة	١٠٣	المصطلح
٣٤	الجبر	١١٢٧	الأدعية والأوراد	٣٤٩٤	الأصول
٦٦	الزراعة	٤٦٦	الحكمة والفلسفة	٩٦٤	الفقه العام
٢٥	حكمة التشريع	٤٢٨	الفلك	٦٩٤٨	فقه حنفي
٦٧	اقتصاد سياسي	٣٠٣	تقويم البلدان	٤٨٧٩	فقه شافعي
٢٠	هيئة	٦٤١	القوانين واللوائح	٤١٣٠	فقه مالكي
١٧	فراصة وكف	٥٠٥	الحساب	١٦٩٨	فقه ابن حنبل
٥٤	تعبير الرؤيا	٦٣٢	الطب	٢٧	فقه الشيعة
٤٢	شرائع غير اسلامية	٦٣٣	الميراث	١٥٩٣	الجامع
٣	طبوغرافيا	٦٤٦	أخلاق وتربية واجتماع	٣٨٣٨	التوحيد
٦٣٩٥	محفوظات	٢٣٧	أدب البحث	٢٥٥٤	البلاغة
٧	موسيقى	٢٥١	العروض	٤٥٣١	النحو
٣	مسك دفاتر	١٤١	الوضع	٩٨١	الصرف
٥٠	حرف ورمل	٢٧٢	اللغات الاجنبية	١٨٢٩	الآداب والفضائل

وفي المكتبة نوادر قل أن توجد في مثلها في المصاحف قطعتان من مصحف مخطوطان سنة ٤٦٥ هـ .

وفي القراءات « الرماية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة كتب في سنة ٥٥٧ هـ .

وفي التفسير: تفسير غريب القرآن لاسجستاني كتب سنة ٥١٤ هـ .

وفي الحديث : غريب الحديث لأبي عبد القاسم بن سلام المتوفي سنة ٣١١ هـ .

وفي فقه أبي حنيفة : عمدة الطالبين لعبد الباسط الشهير بابن الوزير بخط المؤلف

سنة ٦٠٣ هـ .

وفي التاريخ : رسوم دار الخلافة لأبي الحسن بن الحسن الصابي كتب ٤٥٥ هـ .

وأفنى المكتبات الخاصة بالمكتبة الأزهرية مكتبة سليمان باشا أباطه وقد أهداها ورثته الى الأزهر في سنة ١٨٩٨ م عملاً بمشورة الأستاذ الامام محمد عبده . ويستأثر فنا التاريخ والأدب بغالب كتبها وتتمتاز بكثرة المخطوطات وعدد مجلداتها ١٤٨٤ مجلداً وبها جملة طيبة من مطبوعات أوروبا . والمكتبة الأزهرية العامة من أشهر المكتبات في العالم وهي ثانية دور الكتب في مصر من حيث عدد ما فيها من الكتب وخاصة من الكتب النادرة (١)



(١) اقتبست هذا الاحصاء من كلمة لحزرة صديقي فضيلة الاستاذ أبو الوفا المراغي أمين المكتبة

الاتجاه الحديث للأزهر

وكيف ينبغي أن يكون

إن رسالة الأزهر بوصف كونه جامعة دينية رسالة روحية تهدف أولاً وقبل كل شيء إلى إحياء القيم الروحية ، وتوليد الميول النافعة في الإنسان وقع الميول الفاسدة فيه ، فغاياته من التعليم غاية خلقية ، ومقياسه الذي ينبغي أن يكون هو الخلق لا العلم ، فقيمة المرء خلقه لا علمه ، وعدته التي تلزمه للنجاح في الحياة في خلقه لا في علمه ، ولا يختلف اثنان في أن الرجل ذا الهمة ، والاخلاص ، والثبات ، والاعتماد على النفس ، أرفع للجمعية الانسانية من ألف رجل ورجل جردت تقوسهم من هذه الصفات ، وإن ملئت عقولهم بشتى المسائل والنظريات ولست أقصد من ذلك أن يوجه الأزهر كل جهوده إلى تربية النفوس خصب ، وترك العقول فارغة من العلم ، كلاً فلا بد للأزهر من الطريقتين طريق الدين وطريق العلم ، وإنما أقصد أن طريق الدين هو الأصل ، وينبغي أن يكون دائماً هو الأصل ، والثاني تابع أو خادم للطريق الأول . فإن المعتقدات الدينية إذا كانت تقود الأفكار والمشاعر وتهدي المرء في حركته إلى الخير ، وتمنع الأمم من الوقوع في الهمجية ، وتربط بين أفرادها برباط الانسانية ، فإن العلم يقرر الحقائق ولا غنى للرجل الكامل عن الطريقتين كليهما .

وإذا كان الأزهر في الماضي قد أدى رسالته على نحو يتلاءم مع ذلك العصر فهل هو يؤديها الآن على النحو الذي ينبغي أن يكون ؟

ننظر إلى واقع الأمر فيه . فهل هو أولاً أرضى أبناءه فاطمأنوا اليه وركنوا إلى وضعه الحالي فبشروا بحيل له ميول ناهضة ، ينكر ذاته ولا يخدع نفسه ، ويتخذ الصبر ، والتعاون والاستقلال سبيلاً للنجاح في هذه الحياة . أم هم غير راضين عن حياتهم التي يحيونها فيه الآن على هذا النحو ؟

تمت بشبه استفتاء بين الطلاب في هذه المسألة ، فكان إجماع منهم على أنهم غير راضين عن هذه الحياة . ولماذا ؟ لأنهم أولاً : يشكون في المقابل لهذه الحياة ، أو هم يشعرون بأنهم

أقل من غيرهم قيمة في سوق هذه الحياة ، ومن الشك في المقابل لهذه الحياة نبتت فكرة المطالب التي يتقدمون بها بين آونة وأخرى الى ولاية الأمور في الأزهر وفي غير الأزهر يقصدون من وراءها فتح وظائف جديدة يهجرون من أجلها الدراسة بين آن وآخر . ويؤلمني أن أصرح أن هذه المطالب كلها مادية حتى المطالب الخاص منها بتعليم الدين في المدارس يشفعونه بأن تقوم فرقة معينة بتدريسه . وهنا أحب أن أقول لطلاب ان مهمة الأستاذ والطالب التعاون في سبيل الحقيقة وهذه حقيقة . وليس الذنب ذنب الطلاب في هذا الاتجاه المادي لأن واقع الأمر أن سياسة التعليم من جهة ، والظروف المحيطة بالفرد من جهة أخرى جعلت طلب العلم للعلم أصبح الآن غير موجود اللهم إلا لشخص اطمأن على الظروف المحيطة به في هذه الحياة أو لشخص موهوب وليس السكل هذا أو ذاك .

من الناس من يقول : إن طلبة الأزهر في سنة ١٩٠١ كانوا «١٠٤٠٣» وميزانيته في هذه السنة نفسها كانت ١٤٠٠١ جنيهًا إنجليزيًا . وطلبته الآن حسب احصاء نوفمبر سنة ١٩٤٥ ١٤٧١٤ وميزانيته في هذه السنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦ بلغت ٦٩٥٧٨٠ جنيهًا مصريًا . فكيف لا يرضى الأزهريون عن هذه الحياة مع هذا التقدم المادي . أليس طلبة الأزهر فيما مضى كانوا أكثر رضا منهم اليوم ؟ يقولون هذا ويشفعونه بأن الأزهر سوف لا تنقضي له مطالب مادام يقبل من الطلاب أكثر من العدد المطلوب للوظائف التي يغذيها . مثلاً خرج الأزهر في (سنة ١٩٤٤ - ١٩٤٥) ٤٠١ يحملون علمية مع درجة أستاذ . وعلمية مع إجازة التدريس . وعلمية مع إجازة القضاء الشرعي . وعلمية مع إجازة الدعوة والارشاد . فهل الوظائف التي يغذيها الأزهر تحتاج لمثل هذا العدد سنويًا ؟ الواقع لا . ومعنى هذا إنا في جيل واحد نخرج جيشاً من المتعطلين يكون مصدر قلق لأولي الأمر في الأزهر وفي غير الأزهر ، بل مصدر قلق لهم ولغيرهم جميعاً ، يقولون هذا ونسوا ان هذه المقارنة أولاً لا تصح لأن الظروف التي تحيط بالفرد الآن ليست هي الظروف التي كانت تحيط بزميله فيما مضى .

على أن هذا النمو في ميزانية الأزهر ليس مقصوداً عليها وحدها بل مع هذا النمو لا يزال الأستاذ في كليات الأزهر في الدرجة الخامسة وما دونها ومنهم القليل في الدرجة الرابعة بينما الأستاذ المعري زميله في ذير الأزهر في الدرجة الأولى أو درجة مدير عام .

ثانياً : وأما أن الأزهر يأخذ أكثر من العدد اللازم للوظائف التي يغذيها فمن هنا تأتي أكبر فائدة له . ذلك أنه يؤمه كثير ممن لم يستطيعوا الانفاق على أنفسهم في المدارس التي قدمت ميزة المال . أما هو ففتح لمن حرما صدره فتعليمه لهم حسنة من حسناته التقليدية فهو بذلك دائب العمل على التقريب بين الغني والفقير لأنه يرتفع ببطقة الى طبقة أخرى تليها ولو لم يكن للأزهر إلا أنه يخدم الأمة بهذه الحركة لكفاه بها فخراً فهو دولاب عمل متحرك للتقريب بين الطبقات .

ويعمل الطلاب أيضاً عدم رضاهم عن هذه الحياة التي يحبونها الآن في الأزهر على هذا الوضع بأن أساليب بعض الكتب الأزهرية التي يقرر عليهم دراستها والتي هي مصادرهم فيما يدرسون ويقرأون أصبحت لاتلائم روح هذا العصر ، ذلك أنها تعني أول ما تعني وتقصد أول ما تقصد صناعة لفظية الغرض منها حل تراكيب الجمل وما تعطيه هذه الجمل وفهم الالفاظ وما تعطيه هذه الالفاظ . والبعد في التأويل ، والتعليل ، والاعتراض ، والجواب الى حد بعيد ولم يعد هناك وقت يحتمل أن يضيع في هذا الاخذ والرد ، وهذا الجدل والنقاش الذي لا طائل تحته ولا فائدة منه . ولست معهم في هذا التعليل على إطلاقه . فهذه الصناعة اللفظية هي ميزة الأزهر ، وينبغي أن تظل ميزة الأزهر على شرط أن تكون وسيلة لا غاية . فان هذه التي يسمونها الصناعة اللفظية تخرج رجلاً دقيقاً بكل معنى الدقة عند تخير الالفاظ ، قوياً بكل معنى القوة على استنباط المعاني ، قادراً على النقاش والجدل ، فهي من هذه الناحية أعتقد أنها تكون ملكة إذا مستها العلوم الحديثة كانت ملكة جبارة نادرة المثال ، إنما الذي ينبغي أن يعمل به مكوى الطلاب من هذه الكتب هو أن بعض مؤلفيها رضوان الله عليهم قد غلوا في هذه الناحية التي يسمونها الصناعة اللفظية ، وتأثروا في كتبهم بأشياء أصبح لا يقرأها هذا العصر ، وان عرض ما فيها من معلومات هو بأسلوب فيه روح العصور الماضية ولكل عصر روح . ولعل ذلك كان هو الباعث للأستاذ الامام الشيخ محمد عبده على كلمته المشهورة في وصف هذه الكتب فقد قال :

« لا يمكن لهذه الامة أن تقوم ما دامت هذه الكتب فيها . ولن تقوم إلا بالروح التي كانت في القرن الأول ، وهي القرآن . وكل ما عداها فهو حجاب قائم بينه وبين العمل

والعلم^(١) « والأمثلة كثيرة وكثيرة على هذا الذي ذهبنا إليه . خذ لذلك مثلاً .

كتاب السلم في المنطق للأخضري المتوفي سنة ٩٤١ هـ وهو كتاب يدرس لطلاب السنتين الأولى والثانية من القسم الثانوي نراه يأتي فيعقد فصلاً في جواز الاشتغال بالمنطق يقول فيه :

واخلف في جواز الاشتغال به على ثلاثة أقوال
فابن الصلاح والنووي حرماً وقال قوم ينبغي أن يعاماً
والقولة المشهورة الصحيحة جوازه لكامل القريحة

ثم يأتي الملوحي في شرحه على السلم فيقول في توجيهه تحريم الاشتغال بالمنطق يقول في شرحه الصغير ما نصه : « ووجه تحريم هؤلاء — يشير إلى ابن الصلاح والنووي — إياه أنه حيث كان مخلوطاً بكفريات الفلاسفة يخشى على الشخص إذا خاض فيه أن يتمكن من قلبه بعض العقائد الزائفة كما وقع ذلك للمعتزلة » إذاً هو يعطي الطلاب فكرة سيئة عن المعتزلة ولماذا ؟ لأنهم خاضوا في الفلسفة ولمن وأين يكون هذا الكلام في معهد أصبح يعطي أجازات عليا في الفلسفة وأصبح يرسل أبناءه الى أوروبا للتخصص في الفلسفة . هذا كلام إن صح أن يقال في عصر المؤلف لا يصح أن يضيع الطلاب فيه وقتهم الآن .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن هذه الكتب قد ألفت وشرحت من زمن بعيد ونقل مؤلفوها عن بعضهم أشياء أثبت البحث الحديث أو التأليف الحديث خطأها . مثلاً الشيخ عمر النسفي في كتابه العقائد النسفية وهو كتاب في التوحيد يدرس لطلبة كلية أصول الدين يقول في أول الكتاب « حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافاً للسوفسطائية » ، فيأتي سعد الدين التفتازاني شارح كتاب العقائد هذا فيقسم السوفسطائية إلى فرق ثلاث عندية ، وعنادية ، ولاأدرية ، ثم يأتي الخيالي ، وعبد الحكيم ، والعصام فيوافقونه على هذا التقسيم .

مع أن فرقة الشككيين المعبر عنها هنا باللاأدرية لم تكن من فرق السوفسطائية، ذلك أن الشك لم يكن كذهب إلا من عهد بيرون أو فرغين كما ينطق في اليونانية وكان يدعى

فُـرغْنَ الأليسي نسبة إلى بلده — ولد سنة ٣٦٠ وتوفي سنة ٢٧٠ ق م — نعم قال السوفسطائيون بالمشك كما قال به الكامبيون أيضاً ولاكنه عرف عندهم كطريقة من طرق البحث لا كذهب فلسفي فيبدأ الشك كذهب ببيرون . ولا أريد أن أستطرد في ضرب الأمثال فهي كثيرة وكثيرة في مختلف الكتب الأزهرية وبخاصة في كتب التفسير والفقه .

وفيا عدا هذا وذاك من الغلو فيما يسمونه الصناعة اللفظية ومن التأثر في هذه الكتب بروح غير روح هذا العصر سواء في طريقة عرض المعلومات أو في غيرها، فيما عدا هذا وذاك، فهذه الكتب ثروة لاتعادلها ثروة وكثر غنى عرض ما فيه غيرنا بأسلوب جديد وروح جديد فنفعوا وانتفعوا وأفادوا واستفادوا وليس علينا في هذه الناحية إلا أن نجاري روح العصر فنعرض بضاعتنا بروح عصرنا نحن ، لا بروح عصرهم هم رضوان الله عليهم وحزاهم خير الجزاء إن كتب الدين فيها كثير من الأوشاب التي علقته به وليست منه في شيء ، وعلينا تنقية هذه الأوشاب ليعيد الأزهر للدين جدته ويسره ، ويرفع عنه ذلك الحرج الذي نفر الناس منه أو كاد . إن القرآن الكريم الذي هو الأصل وهو الدوحة طفت عليه هذه الصناعة اللفظية ، وطغى عليه ذلك البعد في التأويل والتخريج . وهذه الناحية ناحية تنقية الدين مما علق به وليس منه ، وعرض بضاعتنا بأسلوب جديد وروح جديد يتمشى مع العصر ولا يتعارض مع ما ورثنا من عرف ، هذه الناحية هي ما ينبغي المبادرة بها والعمل على تنفيذها ليخرج الطالب وفيه روح عصره الذي يعيش فيه .

وهناك ناحية أخرى أضرت بالتعليم ضرراً بليغاً لا في الأزهر فحسب ، بل في الأزهر وفي غيره ، تلك هي الظروف السياسية التي أحاطت بالطلاب في السنين الأخيرة ولا تزال تحيط بهم حتى الساعة .

إن اشتغال الطلاب بالسياسة ألهامهم عن علومهم الأمر الذي أصبح يشكو منه الكل أ . لا الأزهر فحسب . وهنا لا أقصد أن يجرّم على الطلاب الاشتغال بالسياسة فهذا حق من حقوقهم ما دام لهم وطن يعيشون فيه . وإنما أقصد أن أقول : إن تقاتل الأحزاب في ربيع القرن الأخير جرّ الطلاب إلى اقتحام ميدان الصراع الحزبي هذا الذي جرّ إلى استخدامهم ، ومما آلتهم ، وارضائهم حتى على حساب العلم ، فكانت النتيجة ما نسمع ونرى مما لا يحتاج إلى اظهار ، اللهم إلا اظهار الآسى والأسف .

هذا ونبتت في الأزهر أخيراً ظاهرة أضرت بسير الدراسة فيه كل الضرر، ونزلت بالمستوى العلمي الى حيث أصبح يشكو منه كل من يهرمه أمر هذا المعهد، تلك هي بدءة الامتحان في المقروء لا في المقرر، هذه الظاهرة أفستت العلاقة بين الأستاذ والطالب، وعودت الطلاب الخروج على النظام بهجرهم الدروس قبل أن ينتهي العام الدراسي حتى لا يطول عليهم هذا المقروء. وبلغ من أمر هذه الظاهرة أن الطلاب أصبحوا يتضامنون على الأستاذ الذي لا ينزل على رغبتهم فيقف في مادته عند حد يعينونه له حتى أو شك الأمر أن ينقلب فوضى طاغية وأن يصير أمر الأزهر في غير أيدي أولي الأمر.

إن هذه الظاهرة يعترف الطلاب أنفسهم أنها نبتت في جو السياسة وهي من غير شك لم تكن لتعيش لولا هذا الجو. وهذه الظاهرة ليست في صالح الطلاب وإن بدا لهم في ظاهرها الرحمة، وهي طبعاً ليست بعد ذلك في صالح شيء ما. فمن مصلحة الطلاب ومن مصلحة العلم، ومن مصلحة الأخلاق أن يقضى قضاءً مبرماً على هذه الظاهرة الخطيرة مهما كان الأمر. ولقد أحسن صنعا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق فلقد أعلن عقب توليه رئاسة الأزهر في منشور دوري أن الامتحان سوف يكون في المقرر لا في المقروء، وهذه خطوة طيبة نرجو أن تتبعها خطوات حاسمة.

هذه العوامل مجتمعة التي هي شك الطلاب في المقابل لهذه الحياة، وعدم رضاهم عن أساليب بعض الكتب الأزهرية، مضافاً الى ذلك هذه الظروف السياسية التي تحيط بالطلاب وتكتنف الطلاب من كل جانب، هذه العوامل مجتمعة أنتجت ما نرى الآن في الأزهر من تضامن ضد الرؤساء، ومن تضامن ضد الأساتذة إن لم ينزلوا على رغبتهم فيما يقررون وفيما يشاءون. واصلاح حال الأزهر، أو توجيه الأزهر وجهة طيبة في هذا العصر الذري بمعالجة هذه العوامل من جهة إرضاء شعورهم مساواتهم بغيرهم، وبفتح وظائف جديدة لهم، وتهذيب أساليب بعض الكتب الأزهرية، وغل يد السياسة عن التدخل في أمر الأزهر. وحث الأساتذة على مضاعفة جهودهم مع الطلاب. ان أفاد كل ذلك الآن وهو مفيد قطعاً فلن يرضي أطماع الأزهر في المستقبل. ذلك أن الفكر الأزهرى قد تحرر من قيود غل بها من قبل، فتقدم تقدماً كبيراً أصبح لا يشبعه هذا النظام التعليمي الموجود الآن في الأزهر، وهذه الناحية ناحية

تحرر الفكر الأزهرى وتقدمه في الأزهر، مضافاً إليها ما وصل إليه العالم من تقدم، هذا التقدم الذي يقرأ عنه الأزهريون كل يوم، ويشعرون ويحسون به في كل وقت، ويرون بأعينهم بعض مظاهره دائماً. هذا وذاك هو ما ينبغي أن يوجه الأزهر على ضوءه فأساس توجيه الأزهر أو أساس إصلاح الأزهر هو مسابقة التقدم الفكرى وربطه بالامة، بل ربطه بالعالم. إن ربط الأزهر بالامة بل ربطه بالعالم هو الأساس الذي ينبغي أن يبنى عليه توجيه الأزهر، وكل ما عدا ذلك فهو علاج وقى لا ينفع. فليست المسألة مسألة وظائف تفتح، أو وظائف تغلق، بل هي وراء ذلك وفوق كل ذلك. وأحب أن أتجمل هنا القول بأن الدين الاسلامي يجب أن يدرس كما هو، وأن يفهم كما هو، وأن كل ما سمع عن الرسول صلوات الله عليه وصح نسبه اليه ينبغي الوقوف عنده بلا زيادة ولا نقصان، ومن لم يقف فقد تعدى على الشرع وخرج عن الحق.

أما أن الفكر الأزهرى قد تقدم، وقد تحرر من قيود غلبها من قبل فليس أدل على ذلك من شهادة رجلين اثنين من أعلام الفكر وكبار المهتمين بأمر التربية والتعليم في هذا البلد وهما حضرة صاحب المعالي أستاذنا الجليل أحمد لطفي السيد بها. وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر.

كان معالي أحمد لطفي السيد بها في العام الماضي رئيساً للجنة امتحان الفلسفة لطلبة تخصص المادة في كلية أصول الدين بالأزهر. وقد عينت لجنة الامتحان لكل طالب موضوعاً يحاضر فيه لمدة ساعة تقريباً وكانت الموضوعات التي حاضر فيها الطلاب هي :-

١ - أصول المعتزلة وأثرها في تطور علم الكلام.

٢ - فلاسفة الاسكندرية وأثرهم في توجيه التفكير الاسلامي.

٣ - الغزالي بين الفلسفة والتصوف.

٤ - وحدة الوجود بين الفلسفة والتصوف.

٥ - القياس بين المناطقة والتقهاء.

٦ - الآله عند أرسطو وتأثير فلاسفة الاسلام بذلك.

وبعد أن انتهى الامتحان قام معاليه فقال :

« أنا أحمد هذه الفرصة التي هيأها لي صديقي الأستاذ الامام الشيخ المرافى لأغتنب ببقياكم، وأرى عن كثب تقدم الأزهر هذا التقدم الباهر الذي لمست في هذه الجلسات الست

وأسارع الى تهنئتك وأسأتذتك وتهنئة صديقي الإمام بهذا التقدم الكبير الى أن قال :
أما اليوم فإننا نتكلم عن الله «أرسطو» وهو كما كان يرى فكرة لم يخلق شيئاً ولا
يعلم شيئاً أصلاً إلا ذاته ... الخ فما معنى هذا: معناه أن الأزهر انتقل من حال الى حال كبقية
كائنات العالم ولكم أن تسموا هذا استحالة أو نمواً كما تريدون ، ولكنه ليس فساداً طبعاً .
الى أن قال : لقد أكثر تهنئي لكم بإمامكم ومحاضريكم وأسأتذكم وبتقدمكم الذي
جعلنا نتكلم اليوم في إله «أرسطو» .

وقال فضيلة الأستاذ الأكبر الفيخ مصطفى عبد الرزاق وهو يقدم كتاباً لصديقي وزميلي
فضيلة الشيخ محمد يوسف موسى تحت عنوان : «تطور الجو العلمي في الأزهر» قال :
« منذ أكثر من عشرين عاماً كنت سكرتير مجلس الأزهر الأعلى والسكرتير العام للعاهد
الدينية ، وكنت بحكم منصبي متصلاً بمناهج التعليم في الأزهر وما يقرر تدريسه من الكتب
وأذكر أنه في ذلك العهد كان قرر تدريس كتاب «تهذيب الأخلاق» لابن مسكويه في بعض
السنين الدراسية، وسرني ذلك لاني كنت أحب أن تجد كتب الفلاسفة الاسلاميين منفذاً الى
المعهد الاسلامي الأكبر . ولم يمض زمن طويل حتى علمت أن المدرسين والطلاب شكوا من
تدريس رسالة ابن مسكويه بحجة أنها تتضمن من الآراء والمذاهب ما يعتبر فلسفة ينبغي أن
ينزّه عنها الأزهر الشريف ، وحل محل كتاب «تهذيب الأخلاق» رسالة صنعها بعض مدرسي
الأزهر تتضمن آثاراً وحكمًا ومواعظ تحت على مكارم الأخلاق وتنهاي عن مساوئها، وحاولت
جهدي أن أدافع عن ابن مسكويه وعن كتابه فلم يجد مسعاي شيئاً . وكادت تنثار حول سمعي
الدينية شبهات كان لها حينذاك خطرها ... وقد اطلعت أخيراً على كتاب الاستاذ الفاضل
الشيخ محمد يوسف موسى اسمه «تاريخ الأخلاق» ... والكتاب عرض طيب لتاريخ
الأخلاق في الشرق القديم ، وعند الاغريق في العصور المختلفة ، وفي القرون الوسطى ، وفي
الفلسفة الحديثة، وفي الاسلام عند الفلاسفة وغير الفلاسفة .

عادت بي الذاكرة حين راجعت فصول هذا الكتاب الذي يؤلفه مدرس الأخلاق بكلية
أصول الدين — الى ما كان من حديث ابن مسكويه فأدرت مبلغ ما حدث من التغيير في
الجو العلمي الأزهر في أقل من ربع قرن من الزمان ، ورجوت أن يكون ذلك آية من آيات

الحركة الفكرية في البحث العلمي التي التمس المصلحون شيئاً منها للآزهر الشريف منذ زمان، ووجدوا في سبيل مسعاهم أذى كثيراً » انتهى كلام فضيلة الأستاذ .

وهذا التقدم الفكري جاء نتيجة لنظام الأزهر الجديد الذي بذر بذرة السيد جمال الدين الافغاني وتعهده من بعده الأستاذ الامام محمد عبده والمرحوم الشيخ المراغي ويتعهده الآن فضيلة الأستاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق الذي نرجو له من قلوبنا كل توفيق في السير بالآزهر الى الامام حتى يسير مع قافلة الزمن

وهذا التقدم الفكري اتجاه طيب يبشر بمستقبل حسن وجاء بفضل ربط ثقافته القديمة بالثقافات الحديثة، فأخذ ينتج ويستقل بنفسه شيئاً فشيئاً في تدريس العلوم التي أدخلها فيه النظام الأخير، فأصبحنا نرى الكتب والرسائل توضع في بعض العلوم التي تدرس فيه بلغة جديدة، وأسلوب جديد في تاريخ الأخلاق وفي تاريخ التشريع وفي الفلسفة، والتاريخ وعلوم البلاغة الى غير ذلك . وأصبح فيه من يجيد الانجليزية والالمانية والفرنسية وأصبح فيه من يضع الرسائل عن الشخصيات الأجنبية، مثلاً صديقي الدكتور محمود حب الله وضع رسالته Spinoza's Conception of Human Individuality عن « سبينوزا وهي رسالة تبين أن للانسان حقيقة واستقلالاً في نظر هذا الفيلسوف على الرغم مما قاله العلماء السابقون جميعاً من أن فلسفة سبينوزا تنفي تلك الحقيقة وهذا الاستقلال وهذا أول عمل من نوعه في تاريخ الأزهر . وأصبحنا نسمع صوت أبنائه في المجلات والصحف في أبحاث قيمة . وكل ذلك بفضل هذا التوجيه الطيب الذي وجهه إليه المغفور له الامام المراغي شيخه السابق .

وهذه باكورة طيبة غير أني لا أرى فيه الآن من يشغل بتأليف الكتب المطولة في الشريعة مثلاً مأخوذة من منابعها الأصلية، وفي اللغة وعلوم البلاغة، وغيرها بأسلوب جديد وروح جديد يناسب روح العصر ويسد حاجتنا اليه .

الأزهر ذو نواح ثلاث : خلقية ، وإدارية ، وعلمية . أما الادارية فليس فيها سوى أن تسير سياسته على أساس الحق والعدل . وأن تغل يد السياسة - السياسة بمعناها الشائع المعروف وإلا فهي من حيث هي فن من أرفع الفنون قدراً - عن التدخل في الأزهر باحباط سياسة أولي

الأمر فيه فهو جامعة دينية عامة ينبغي أن تتفرغ لرسالتها على ضوء ما تقتضيه طبيعة وجوده وأما الناحية الخلقية فليس ينفعها سوى ضرب الأمثال. لأجل أن نخرج جيلاً جديداً لا بد من مثل عليا، نعم مثل عليا في كل ناحية من مناحي الحياة وما أحوجنا نحن إلى رجال كسعيد بن المسيب، أو أحمد بن حنبل، وأخيراً كعز الدين بن عبد السلام.

إن سعيد بن المسيب دعى للبيعة للوليد، وسليمان، بعد عبد الملك بن مروان. فقال: لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار، ف قيل له: ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر. قال: والله لا يقتدى بي أحد من الناس. فجلد مائة سوط فلم ينزله هذا الجلد عن رأيه. وأما الناحية العلمية فأحب أولاً أن أقدم لها بكلمة.

من الناس من يخاف على الأزهر كلما رأوا يبدأ تريد أن تمتد إليه بتغيير بعض ما ألف فيه من نظم، ونسوا أن تغيير الأشياء أو تحويلها شرط أساسي في رقيها، وأن الأزهر شيء من هذه الأشياء وهو خاضع لقانون التغيير أثبت نواميس الكون، وأن جمود شيء ما على صفات واحدة والعالم من حوله يتغير معناه فناء ذلك الشيء. وفي وسع أولئك الذين يخافون على الأزهر من كل تغيير يراد له في وسعهم أن يلعنوا هذا التغيير، ولكن ليس في وسعهم أن يتحاشوه. وهل ينكر أحد أن الأزهر الآن غير ما كان في الماضي؟ وسيكون في المستقبل حتماً غير ما هو عليه الآن رضي الخائفون أم لم يرضوا. عرفنا فيما سبق أن الأزهر حرم دراسة المنطق حتى أن السيوطي وهو عالم جليل من علماء مصر ألف في ذلك كتاباً مما «القول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق» والأزهر الآن يدرس الفلسفة بما فيها المنطق بل ويتخصص بعض أبنائه فيها. ولو قال الآن فيه أحد بما قال به السيوطي من قبل لسخروا منه.

قال الأزهر في الماضي بقفل باب الاجتهاد وعرف في وقت ما التعصب المذهبي وأهد الناس حماسة للقديم فيه الآن يعتبر القول بذلك قصوراً في العقل وهذوذاً في الرأي حتى أن الأستاذ الامام المراغي رحمة الله عليه قال في العام الماضي في حديث له في جريدة الاهرام افتمتج به أحاديث شهر الصوم المبارك قال بالغاء المذاهب في الفقه الاسلامي والرجوع الى القرآن الكريم مصدر هذه المذاهب ولم نسمع في الأزهر صوتاً ارتفع بانكار ذلك عليه

ومعنى ذلك أن الأزهر الآن غير ما كان في الماضي .

الأزهر فيما مضى كان يعتبر الألعاب الرياضية حديثاً لا يتفق وكرامة طالب العلم حتى أني أذكر وأنا طالب في السنة الأولى من القسم الثانوي أنا اتفقنا بصفة أصدقاء على إنشاء ناد رياضي نمارس فيه ألعاب الرياضة ، فلما علم بذلك شيخ القسم يومئذٍ رحمة الله عليه أحضرنا وأخذ علينا تعهداً بالاقلاع عن هذه الفكرة وإلا نزل بنا ما لا يحمد عقباه . والتدريب العسكري الآن في الأزهر حصّة رسمية يشرف عليها أولو الأمر فيه .

وأذكر حتى وأنا في التخصص وأظن ذلك كان في سنة ١٩٢٧ أو ١٩٢٨ لا أذكر جالس أستاذ لنا يلقي درسه ونحن أمامه نستمع وأخذ يشرح لنا حديثاً نبوياً شريفاً في باب عنوانه « باب احترام العلماء » وأخذ رضوان الله عليه يخرج الآلف واللام في العلماء وهل هي للجنس فيكون مدخولها الحقيقة من حيث هي أو للعهد الخارجي ومدخولها فرد معين من أفراد الحقيقة ، أو للعهد الذهني ومدخولها فرد مبهم من أفراد الحقيقة . أو للاستغراق ومدخولها كل أفراد الحقيقة . وانتهى به المطاف إلى أن الآلف واللام ها هنا للعهد والمعهود هم

فسألته ويذكر ذلك جيداً بعض إخواني وهم الآن من مدرّسي المعاهد الدينية سألته يامولانا ألا يحترم فلان ... العالم القانوني الضليع . وفلان المهندس الكبير ؟ وخشيت أن أذكر له « غليليو » أو « اديسون » مثلاً ممن لهم فضل على الإنسانية لا ينكر فنارت ثأرتة عليّ رضوان الله عليه وأسكنه فسيح جناته .

وعلى الجملة فالفكر الأزهرى الآن أخذ يتحرّر من سلطان ما حسبه بعض الناس ديناً وهو عند الله ليس يدين . وأخذ يتجه اتجاهاً طيباً بالقياس إلى ما كان عليه من قبل ، فطلبة الأزهر الآن فيهم حيوية فتيّة ، وفيهم استعداد وثاب للتمشي مع روح العصر بما لا يتعارض مع ما ورثنا من عرف صحيح ، ولكن كل ذلك مقفل عليه في صندوق فما هو إلا أن يفتح وأخشى أن يكسر . لذلك أرى أولاً .

١ — القضاء على تلك الظاهرة الخطيرة ظاهرة الامتحان في المقروء لا في المقرر . والسير بالطلاب في جو ملائم إلى الغاية التي لأجلها كان الأزهر

٢ - وضع أصل للغرض والغاية من التعليم في الأزهر يسير على هداية الأساتذة والطلاب وتنفيذه بكل دقة وعناية .

٣ - النظر في أمر الكتب التي تدرس في الأزهر « على ضوء ما تقدم » .

٤ - إعطاء الأساتذة حق الاشراف على الطلاب في تقويم الأخلاق ، والطباع والنفوس فلا يصح إعطاؤهم حق تقويم العقول وإهمال هذه النواحي التي تتصل برسالة الأزهر أولاً وقبل كل شيء . ومن وسائل ذلك :

١ - الاكثار من الاجتماعات التي يشترك فيها الأساتذة والطلاب اشتراك صداقة و اخوة . ب - وفتح أندية رياضية للطلاب وأخرى للطلاب والأساتذة ولا يشترك في الأخيرة إلا من اجتمعت فيه شروط خاصة كالتفوق في الألعاب الرياضية ، أو التفوق في العلم وأنا على ثقة من أن الأندية الرياضية اذا فتحت ابوابها للأزهريين سيرون منهم فرقاً رياضية ممتازة تفخر بها مصر .

٥ - جعل الرياضة البدنية مادة من مواد الدراسة في المعاهد .

٦ - أن يجعل في الكليات نظام المحاضرات العامة يقوم بها الأساتذة ويدعى إليها الاختصاصيون في النواحي المختلفة من رجالات الأمة والجامعات . وبهذه المناسبة أقول إن هذه المحاضرات أشبه شيء بالأزهر القديم فلنعدده فيها على أن تسجل هذه المحاضرات

٧ - تكوين جماعات لما يأتي :

١ - للترجمة وبخاصة فيما يرى أن المكتبة الأزهرية فقيرة فيه . ب - لنشر الكتب على نحو يسهل للباحث مهمته . وما أحوجنا في هذه الناحية الى مجهود كجهود المستشرقين في نشر بعض كتبنا . ج - لعمل قواميس في المصطلحات المختلفة التي تمس حياة الأزهر

٨ - تشجيع المؤلفين وقصر من يبرع فيه عليه فحسب .

٩ - ربط الأزهر بالبيئات العلمية المختلفة وذلك يكون بمواصلة البعث للتخصص في العلوم والفنون المختلفة التي تمس رسالتنا وبخاصة في تاريخ الأديان والمقارنة بينها وفي

القانون وفي اللغتين الفارسية ، والعبرية . ويعمل على أن تدرس كلية أصول الدين تاريخ الأديان والمقارنة بينها . ويدرس القانون في كلية الشريعة نواة لايجاد متخصصين في الفقه الاسلامي مقارناً بغيره من الشرائع وتدرس اللغتين السابقتين في كلية اللغة . نواة لمختصين أيضاً في هاتين اللغتين .

١٠ — القيام برحلات ثقافية الى الاقطار الشقيقة وغيرها وبخاصة الى منزل الوحي ومهد العربية .

١١ — العمل على أن تكون الجامعة الأزهرية هي المصدر الأول في التخصص في التاريخ الاسلامي وأدب اللغة العربية . نعم نحن نتخصص عند غيرنا في طرق البحث ، ولكن هل هناك ما يمنع من أن نكون نحن المصدر الأول .

١٢ — تدريس لغة أجنبية في الأزهر ابتداءً من السنة الأولى بالقسم الثانوي .

١٣ — حيث إنه ليس في الامكان قصر الزي الأزهرى على أبنائه فليجعل زي جامعي خاص للآزهر يختلف باختلاف الدرجات العلمية .

١٤ — العناية بالـمكتبات في المعاهد والكلديات عناية تحقق الغرض منها .

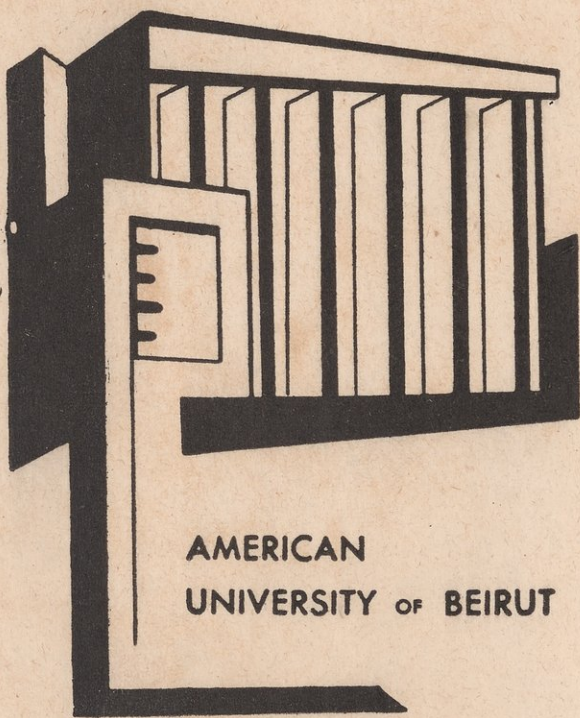
١٥ — حيث إن الحرب قد أوقفت مشروع بناء المدينة الجامعية الأزهرية فلا أقل من الاسراع الآن ببناء القاعة العامة للمحاضرات وأملنا كبير في إحياء المشروع حتى تضاعف خطوات الأزهر الى الأمام .

وفما يختص بخدمة الأزهر المجتمع أرى أن توجه خطبة الجمعة في جميع مساجد القرى والمدن توجيهاً جديداً أساسه إيجاد الخطيب أولاً ، ثم توجيه الشعب فيها الى القيم الروحية والى الزراعة والصحة على أن يكون هذا الخطيب متصلاً برجال الزراعة والصحة ليستطيع أن يبين للمجتمعين المجد فيثني عليه ، والمقصر فيستهزئه ، وذلك يستدعي وضع برنامج عام شامل لاصلاح القرية ، على أن يعنى عناية تامة بمسألتين اثنتين : وهما النظافة ، والنظام . ولست في حاجة الى القول بأن هذه الخطبة لو وجهت لتؤدي غرض الشارع منها لنقلت قرى الريف ومدنه نقلات عظيمة في وقت قصير .

هذا بحث قدّمته خالصاً لوجه الله والعلم ولم يبعثني عليه سوى حيي للخير وغيرتي على الأزهر وما أريد إلاّ الإصلاح . ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظاهراً ولا باطناً .

فهرس الكتاب

- ٣ - تصدير
- ٧ - مقدمة
- ١٠ - كلمة عن تاريخه المادي
- ١٢ - كلمة عن الحركة العلمية الاسلامية بمصر قبل أن يكون الازهر
- ١٦ - كلمة عن تاريخه العلمي ✓
- ٢٧ - كلمة عن انتاج الازهر ✓
- ٣٣ - تصدير السيوطي (مثل عن البحث والدرس في ذلك العصر)
- ٤٠ - نظام التعليم القديم في الازهر
- ٤٣ - تحريم الاشتغال بالمنطق والنهي عن التأليف
- ٤٦ - أشهر الكتب التي تدرس في الازهر
- ٥١ - خطوات الازهر ✓
- ٥٦ - مراحل التعليم في الازهر والعلوم التي تدرس فيه
- ٥٧ - الشهادات
- ٥٨ - مجلس الازهر الاعلى
- ٥٩ - المعاهد الدينية
- ٦٠ - فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق
- ٦٤ - شيوخ الازهر
- ٧٠ - طلبة الازهر
- ٧١ - خريجو الازهر
- ٧١ - ميزانية الازهر
- ٧٤ - مكتبة الازهر
- ٧٦ - الاتجاه الحديث للازهر وكيف ينبغي أن يكون ✓



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

